مكانة المنطقة الشرقية في السعودية

إخراجها من مسمّى الجزيرة العربية

خطأ فقهي وسياسي وسيادي

تأليف

خالد بن عبد الله الغليقة

تقديم

د. حسن بن فهد الهويمل

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٠٠٩٦١٥/٩٥٢٥٩٤ - فاكس: ٠٠٩٦١٥/٤٥٩٩٨٢
هاتف نقال: ٠٠٩٦١٣/٣٨٨٣٦٣ - ٠٠٩٦١٣/٥٢٥٠٦٦ - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com
البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

المقدمة

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فهذا حوار يتبين من خلاله، ويتضح من مضمونه خطأ الاختيار الفقهي المتضمن إخراج (المنطقة الشرقية) في السعودية من مسمَّى الجزيرة العربية، ويوضح عدم صلاحية هذا الرأي في هذا المكان وهذا الزمان، ويقرر هذا الحوار خطورة هذا القول، ومفعوله على المدى البعيد في خلخلة السيادة والسياسة السعودية في المنطقة وزعزعتها؛ فهو حوار يوضح الخطأ الفقهي والسياسي والسيادي لهذا الاختيار الذي تبناه أحد المشايخ في صحيفة الشرق الأوسط، عندما قال: «إن المنطقة التي أوصى الرسول ﷺ بإخراج المشركين منها هي المنطقة القريبة من الحرمين الشريفين لقدسيّتهما، ولا معنى لإدخال منطقة بعيدة من المنع كالمنطقة الشرقية مثلاً...»[1][2]. وقد

(١) مقال بعنوان (معنى إخراج المشركين من جزيرة العرب)، صحيفة الشرق الأوسط، ١٤ رمضان ١٤٢٥، عدد ٩٤٦٥، وأعاد الشيخ الكلام نفسه في لقاء مع الصحيفة ذاتها بتاريخ ٣/ ٨/ ١٤٢٦ من يوم الأربعاء، عدد ٩٧٨٠.

(٢) وقد اطلعت من قبل ذلك على بحث لم ينشر بعد للأخ الأستاذ سعود بن =

جعلته على شكل حوار على قسمين، الأول كان عن الخطأ الفقهي، والآخر عن الخطأ السياسي والسيادي، ليتمكّن القارئ من التفاعل مع هذا الموضوع[*].

= محمد العقيلي والذي بعنوان: «السياحة في جزيرة العرب» وقد وجدته يتفق مع رؤية الشيخ واختياره للموضوع نفسه.

(*) قبل أن أشرع بالبحث أود توجيه الشكر إلى كلّ من ساهم في هذا البحث بالمادة العلمية له، وهما الأخوان الفاضلان: ناصر الهذلول، وأنس بن زيدان.

تقديم

بقلم: د. حسن بن فهد الهويمل

أحداث الحادي عشر من سبتمبر قلبت أوضاع العالم كافةً رأساً على عقب، وحولت المفكرين والعلماء والفقهاء من استشراف المستقبل إلى إعادة قراءة المرجعيات والخروج بها من الحديات إلى الاحتماليات في ظل شرعية الاجتهاد وحرية التفكير والتعبير، وامتطاءً لموجة التغيير التي كادت تتحول إلى إعصار [كاتريني]. فالغرب يحمِّل الإسلام والمسلمين كافة المسؤوليات عما جرى، وعما يجري، وعما يتوقع وقوعه، ولـمَّا يزل يرافع ضد الإسلام في الأحوال الثلاثة، ومع أنها حجة داحضة، إلا أنها الأقوى والأقدر على النفاذ. والإسلام وحماته يستبعدون أن يكون الإسلام داعياً إلى القتل والتدمير والإفساد في الأرض.

وأمام الفعل ورد الفعل دخل في مضمار اللزز من لا يقوى على الصمود، ومن لا يحسن التصرف. والضعف والجهل داء المشهد السياسي والفكري. وتلاحق الأحداث الموجعة أنشأت خطابات و[أجِنْدة] ليست في العير ولا في النفير، هذه الخطايا وتلك [الأجِنْدة] فوَّتت على العقلاء والناصحين ترشيد

المسار، وكف الأذى، وزادت من تدهور الأوضاع.

والمتابع لفيوض الخطابات يصاب بالذهول من تناقض الإنسان مع نفسه، وتحوله السريع والمفاجئ من خطاب إلى خطاب. لقد ذكرني الذهول والهروب بتلك الصورة القرآنية التي صور بها القرآن ظاهرة الخوف ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾. إنها أبشع صورة للذهول والهلع، والمشهد الثقافي العربي يعيش في بعض صوره ذلك الهلع بسبب الضربات الموجعة.

والراصدون من الأعداء والأصدقاء لا يملكون الاستقرار على رؤية، فالناس في حالة من الارتباك، حتى لا يقدر أحد على التأسس المعرفي على فيوض القول الذاهل، وكيف يتأتى ذلك وكل يوم تطلع فيه الشمس يطلع معها أكثر من خطاب. في ظل ذلك كله أصبح المطلب الرئيس الدعوة إلى الحلم والأناة والسكينة والتدبر والتروِّي، ومحاولة فكّ الاشتباكات، وفضّ المنازعات، والعودة من ميادين القتال إلى موائد المفاوضات، والجنوح إلى السلم، والتعايش، والتعاذر، وتبادل المصالح، والاشتغال في مجال المتفق عليه.

أقول قولي هذا وأنا أقرأ مخطوطة كتاب أعده الباحث الأخ الأستاذ/ خالد بن عبدالله الغليقة عما دار حول مفهوم [الجزيرة العربية] ودعوة الرسول ﷺ لإخراج المشركين منها، ورؤية أن [المنطقة الشرقية] ليست منها، وطلبه أن أكتب مقدمة لهذا البحث. وكنت قد قرأت أوزاعاً من كتابه [مسائل شرعية وقضايا فكرية

معاصرة] ووجدت فيه رصداً أميناً وواعياً للحراك الفكري والديني والسياسي، وعملاه المطبوع والمخطوط من مخاضات الحادي عشر من سبتمبر. لقد ضاق الوقت وضعف الجهد حتى طال الأمد، ولم أستطع قراءة المخطوطة في الوقت المناسب، وبالمستوى القرائي القائم على الاستقراء والتفكيك.

ولما أن خفَّت الأعباء، ولم يخفت صوت الخلاف، حاولت استعراض هذا البحث والتوفر على رؤية دقيقة عنه، ولا أكتمكم حديثاً، فإن الوقت والجهد عاجزان عن التمكن من استكناه دقائقه.

ميزة البحث أنه رصد دقيق لتحولات الخطاب السياسي عبر الأجهزة الإعلامية، وعبر مشاهير الكتّاب، والكاتب راصد أمين لهذه التحولات، ومناقش موضوعي، وإذ اتخذ منهج الحوار مع الرمز الديني الذي وصفه بالمشيخة، فقد ظل معه في حوار علمي مهذب، وهو أسلوب يعوّل عليه البعض لتخفيف الأعباء، وتوطئة الطريق إلى الفكرة.

ومهما اختلفت أو اتفقت مع الباحث فإن عمله جدير بالقراءة والوصول إلى رؤية بوصفها واحدة من تلك الرؤى المتعددة، والمثقف مطالب باستقصاء الآراء التي يتفق معها، والتي يختلف معها. لأن تشكل الوعي والرؤية لا يكون سليماً وإيجابياً حتى يستقبل المثقف مختلف الخطابات، وحتى يكون منصفاً وطالباً للحق.

كل الذي أرجوه لهذا البحث الموضوعي المتوازن أن يصل

إلى أهل الشأن، وأن يكون إضافة لثقافة العصر التي تقوم على مرتكزات سياسية ودينية وفكرية، وتمتلك الأجواء الملائمة للحركة الحرة. وليس هناك ما يمنع من أن نختلف مع الباحث أو نتفق، المهم أن نسمع صوته، وأن نسمع الأصوات الأخرى، وأن نضرب بعضها ببعض لتنقدح الحقيقة ويستبين الرشد.

د. حسن بن فهد الهويمل
أستاذ غير متفرغ بجامعة القصيم
رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب
الإسلامي العالمية بالرياض
رئيس نادي القصيم الأدبي ببريدة

أولاً: الخطأ الفقهي

قد تقول يا شيخ: ما الخطأ الفقهي المتضمن إخراج (المنطقة الشرقية) من مسمى الجزيرة العربية؟

أقول: الجواب عن ذلك، يتكون من عدة أوجه:

الوجه الأول:

عدم الاعتبار للواقع والزمن الذي تعيشه المنطقة الآن، وعدم استصحاب الحالة القائمة، يقول العلامة الشاطبي في أهمية النظر إلى المآلات ومستقبل الفتوى على الناس والمكان والزمان: (النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة قد تستجلب أو لمفسدة قد تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه. وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأولى بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة وتزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من انطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني أو تزيد، فلا يصح

إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغبّ، جار مقاصد الشريعة)[(١)].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في فصل تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد: «هذا فصل عظيم النفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أُدْخلت فيها بالتأويل. فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليها وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل»[(٢)]. فيستفاد من كلام هذين الإمامين أن الفقه المبني على الشرع الصحيح قائم ومبني على الحكمة ومصالح المسلمين. ومن أهم مصالح

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، دار المعرفة ـ بيروت، ٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٣/ ١٢.

المسلمين في نظر العقلاء المسلمين حماية أرضهم والمحافظة على سلطتهم وسيادتهم عليها وعدم التسبب والمساهمة في زعزعة هذه السلطة وخلخلة تلك السيادة.

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ فيمن يفتي بجواز مس المصحف للمحدث: «إن القول بعدم الجواز ولو كان مرجوحاً على ما يسبب التزعزع في العقيدة»(١).

ويقول الشيخ محمد ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ «الإنسان بلا شك لا ينبغي له أن يكمل نفسه، من ادعى الكمال لنفسه فهو الناقص، بل لابد أن يراجع خصوصاً في الأمور الهامة التي تتعلق بمسائل الأمة، فإن الإنسان قد يحمله الحماس والعاطفة على فعل شيء هو في نفسه حق ولا بأس به لكن التحدث عنه قد يكون غير طيب إما في الزمان أو في المكان أو في الحال.

ولهذا ترك النبي ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفاً من الفتنة فقال لعائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم ولجعلت لها بابين، باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه».

من أجل أن يتمكن الناس من دخول بيت الله عز وجل، لكن ترك ذلك خوف الفتنة مع كونه مصلحة!!

بل أعظم من ذلك أن الله نهى أن نَسُبَّ آلهة المشركين مع أنها جديرة بأن تُسَبَّ وتُعاب وينفر منها، لكن نُهي عن سبها لما

(١) الفتاوى، ٢/ ١٩ .

كان يؤدي إلى سبِّ الرَّبِّ العظيم المنزه عن كل عيب ونقص، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

فينبغي أن نعلم أن الشيء قد يكون حسناً في حد ذاته وفي موضوعه، لكن لا يكون حسناً ولا يكون من الحكمة ولا من العقل ولا من النصح ولا من الأمانة أن يذكر في وقت من الأوقات أو في مكان من الأماكن أو في حال من الأحوال وإن كان هو في نفسه حقاً وصدقاً وحقيقة واقعة»(١).

الوجه الثاني:

قد تقول يا شيخ إن النص دل على هذا القول، أو إن الأدلة الشرعية دلت على هذا الرأي؛ فعلى هذا يجب القول به والفتوى به والدعوة إليه وعدم الحيدة عنه والانصراف إلى غيره بتأثير الواقع أو حال المستفتين أو مستقبل الفتوى؟

العلماء ـ يا شيخ ـ تكلموا على هذا الجانب، وفرقوا بين الحكم الأصلي والفتوى الشرعية؛ فالحكم الأصلي هو الأصل في العمل به والفتوى به والدعوة إليه؛ لكن إذا ترتب على هذا الحكم الأصلي أو الدعوة إليه مضرَّة، أو جرَّ إلى مفسدة أو استغلال من الناس في الوصول إلى المخالفة الشرعية أو صار طريقاً إلى

(١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الشيخ محمد بن عثيمين، ص ٤٤.

التحايل على الشرع؛ فهنا يتوقف العلماء عن الفتوى به أو الدعوة إليه؛ فالفتوى الشرعية يجب أن تراعى فيها أحوال المستفتين ويراقب فيها حالة الناس والزمان والمكان. ومن أقوالهم في التفريق بينهما.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ: «إن الذي يطرد الجراد والدبَّاء يلحقه مشقة له أن يفطر؛ لكن إذا سئلت: لِمَ أرخص في هذا لأهمية هذه الفريضة؛ ولكن العوام لا يبالون، وإذا وجد ذلك جاء أناس يترخصون أكثر، وهكذا، فيعم الضرر في الدين في الإخلال به. والفتوى تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص وإلا...الرخصة دليلها معلوم»[1].

وكان رحمه الله يفتي بلزوم الطلاق الثلاث؛ فمن طلق ثلاثاً بلفظ واحد فإن الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ يلزمه ويجعل امرأته تبين منه ويقول: «إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لما أفتى بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلقة واحدة لم يكن يقصد بذلك مخالفة الجمهور الذين يفتون بلزومه ولكن لانتشار (نكاح التحليل) في زمنه بين المسلمين بسبب أيمان الطلاق. ولهذا رأى ـ رحمه الله ـ أن مخالفة الجمهور أخف من مفسدة» نكاح التحليل «فأفتى بذلك».

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم: «إن ابن عباس رضي الله عنه الذي يحتج المخالفون بقوله، ورد أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فاستفتاه

(١) الفتاوى، ٤/ ١٨٤.

فقال: (عصيت ربك وبانت منك امرأتك)».

وقال الشيخ محمد: «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كان يوافق الجمهور في هذه المسألة، ولم يُفْتِ بخلاف ذلك إلا مرة واحدة لما طلق رجل امرأته ثلاثاً وكان له منها أولاد؛ ورأى أنهم سيفسدهم الافتراق فأفتى بقول شيخ الإسلام ابن تيمية»(١).

الوجه الثالث:

مما يدل على مراعاة العلماء في الفتوى لحال المستفتين ومراقبة أحوال الناس أنهم في بعض الأحيان يتركون التفصيل في الحكم لمصلحة راجحة في التعميم ويطلقون الحكم ولا يخصصون ليؤتي الحكم ثماره ويحقق المصلحة الشرعية في المجتمع والنازلة، ومن أمثلة ذلك ما نُقِل عن سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ أنه كان يكره الخوض في تفسير وتأويل حديث (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منا)، فقد كان يقول: «ينبغي أن يمسك عنه ليكون أوقع في النفس وأبلغ في الزجر».

قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ تعليقاً على قول سفيان هذا: (مع اعتقاد عدم إرادة ظاهره عند العلماء)(٢).

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في حديث (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد):

---

(١) سيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم برواية حمد بن حمين، ص ٣٩.
(٢) تحقيقات وأنظار، الطاهر بن عاشور، ص ١٠٧.

«إن أحمد وعامة السلف يرون أن أحاديث الوعيد تمر كما جاءت، ولا يتعرض لتأويلها لأن ذلك أبلغ في الردع عن الجرائم، ولكن الأولى أن يقال لمن يظن أنه يرى مذهب الخوارج القول الآخر؛ أي عدم الكفر المخرج من الملة، فإن كان الحال مأموناً أن ينزع به أحد تكفير العصاة، قيل كما في النص (أطلق كما أطلق النص)»[١].

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ عن الحديث نفسه: «إن هذا من أحاديث الوعيد، فيمر كما جاء ولا يتعرض له بتأويل؛ وهذا قول أحمد وعامة السلف لأن هذا أبلغ في الردع عن الجرائم، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد أنه قال ذلك في حديث (من غشنا فليس منا)»[٢].

وقال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ في قول ابن عباس رضي الله عنه (بأن القاتل لا توبة له): «إن ابن عباس قال ذلك تغليظاً لزجر الناس عن القتل، وإلا فإن علم ابن عباس لا يترك في نفسه شكاً أن كل ذنب من المسلم يقبل التوبة إن تاب من ذنبه وأقلع عنه»[٣].

ويذكر عن الزهري ـ رحمه الله ـ أنه إذا سئل هل للقاتل توبة؟ كان يستفهم السائل؛ فإذا ظهر أنه لم يقتل يفتيه بأنه لا توبة له، وإن عرف بأنه قتل أفتاه بأن التوبة تصح منه.

(١) الفتاوى، ١/ ١٦٤.
(٢) الفتاوى، ١/ ١٦٤.
(٣) النظر الفسيح، الطاهر بن عاشور، ص ٢٤٠.

بعد هذا التبيين لمنهج العلماء في الفتيا وتوضيح مسلكهم في النوازل وترقبهم للزمن والحالة التي ينشر فيها الاختيار الفقهي ويبث يتبين خطأ القول في هذا الوقت وهذا الزمن وفي هذه الحالة بأن (المنطقة الشرقية) لا تدخل تحت مسمى أو مصطلح (الجزيرة العربية).

ثانياً: الخطأ السيادي والسياسي

قد تقول يا شيخ ما وجه الخطأ السيادي والسياسي في هذا الاختيار؟

الجواب: وجه ذلك هو عدم المعرفة بالواقع الحالي والمتمثل بالمشروع العدائي من أكبر عدو للمنطقة، ومن المتربصين بها اقتصادياً وعقدياً، والمتمثل أيضاً في عزل (المنطقة الشرقية) عن بقية المناطق السعودية؛ وهذا المشروع مطروح للنقاش بكثافةٍ هذه الأيام؛ لأن هذه المنطقة تعتبر من أكبر مناطق النفط في العالم وأهمها؛ ومن يسيطر عليها ويملك النفوذ فيها يملك نفوذاً في العالم، ويعتبر مسيطراً ومستقلًّا إلى حد متوسط اقتصاديًّا وعقائديًّا وسياسيًّا؛ ولهذا لم يطرح مشروع التقسيم؛ وينظر إلى قضية السيادة على هذه المنطقة؛ إلا بعدما هدد سيد هذه المنطقة وصاحب النفوذ عليها بقطع نفطها عن هذا العدو، وهذا الخصم هو الملك فيصل ـ رحمه الله ـ؛ يقول محمد الفيصل: «أما كيسنجر فقد قابلته قبل وبعد أن التقى الوالد إثر حرب رمضان ١٩٧٣م، وكنت مع السيد أحمد عبد الوهاب عندما دخل علينا الرجل، وكان يبدو عليه التوتر، ولاحظت كما لاحظ كل من شاهد المقابلة على التلفزيون أنه في المقابلة مع فيصل

كان يجلس على طرف الكرسي باحترام شديد، وشيء من الارتباك، يتحدث لفيصل بتودد، وفيصل معرض عنه. ينفض عباءته بطرف إصبعه، وكانت هذه طريقة فيصل للتعبير عن ضيقه، وفي طريق خروجه من مكتب الملك قابلته مرة أخرى فلاحظت توتره الشديد وانزعاجه. وكانت من نتيجة هذه المقابلة مع فيصل التي رفض فيها التجاوب مع مطالب الأمريكيين بإلغاء المقاطعة البترولية أن خرج كيسنجر بتهديده الشهير (باحتلال آبار النفط في المملكة وبعدم بيع القمح لها)، وكان الرد السعودي حاسماً بالتلميح بتدمير الآبار والعودة إلى الخيام والتمر، والبدء في مشروع زراعة القمح؛ ولكن في حدود ما يكفي حاجة البلاد الاستراتيجية المقدرة بأربعمائة ألف طن سنوياً تكفي مخزوناً لستة أشهر وليس للتصدير كما حدث لاحقاً»[١].

أما المشاريع الاستعمارية الأمريكية للسيطرة على هذه المنطقة بعد قرارات الحظر النفطي فقد عرضها عدة كتّاب منهم الدكتور محمد السعيد إدريس الذي قال: «...ولاسترداد قرار النفط من الأوبك وضع هنري كيسنجر وزير الخارجية خطة متعددة المهام، فقد أشرف على تأسيس الوكالة الدولية للطاقة عام ١٩٧٤م لتكون بمثابة «كارتل»[*] للدول الصناعية الغربية المستوردة للنفط في مواجهة الأوبك باعتبارها من وجهة نظره «كارتل» الدول المنتجة للنفط.

---

(١) كتاب الأمير محمد الفيصل يتذكر، خالد محمد باطرفي، ص ٢٨٣.

(*) كارتل: (cartel) تعني اتحاداً بين جماعات سياسية.

وقد دعا كيسنجر الدول المستهلكة للنفط إلى تشكيل جبهة موحدة في وجه ما سماه «التحدي البالغ لشجاعتنا ورؤيتنا وإرادتنا»، وتضمنت إستراتيجية العمل التي أعلنها كيسنجر في خطاب له في شيكاغو عام ١٩٧٤م الحفاظ على الطاقة المحلية، والبحث عن مصادر بديلة للطاقة، وحماية أمن الاقتصاد الدولي، والتعاون بين الدول المستهلكة للنفط.

واستهدفت الجهود الأمريكية العمل على فرض تخفيض أسعار النفط وكسر ظهر أوبك، واسترداد الدولارات البترولية من بلدان النفط إلى الولايات المتحدة.ولم تَخلُ الإستراتيجية الأمريكية من التلويح بالتدخل العسكري المباشر لحماية أمن النفط، ووصل الأمر إلى درجة التهديد باحتلال آبار النفط العربية، فقد حذر الرئيس فورد الدول المنتجة للنفط من مخاطر فرض قيود على الإنتاج ورفع الأسعار رَفْعاً مفتعلاً، مذكراً بأن هذه الدول ستصبح ضحايا لأفعالها، ثم عاد وأكد في تصريح آخر بأنه «لا يمكن السماح لأحد بأمر هذه القرارات، وتقرير مصائر الدول من خلال استخدام النفط والتلاعب بأسعاره، وهدد وزير الخارجية هنري كيسنجر بإمكانية اللجوء إلى الخيار العسكري أداةً إستراتيجية تهدف إلى تأمين النفط الخليجي بعيداً عن أي خطر أو تهديد.

أما جيمس شيلزنغر وزير الدفاع فأعلن «أن الدول العربية تواجه مخاطر متنامية في ضغوط الرأي العام الأمريكي باستخدام القوة ضدها إذا ما استمرت في حظر النفط».

ولم يقف الأمر عند التهديد الشفهي، بل كانت هناك دراسات كدراسة روبرت تاكر، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة

جونز هوبكنز، الذي اقترح القيام بعملية عسكرية للسيطرة على آبار النفط في المنطقة الواقعة بين الكويت وقطر؛ لكسر احتكار منظمة أوبك للنفط وطرحه في الأسواق بسعر أقرب إلى السعر الحقيقي. وظهرت دراسة أخرى لأستاذ يعمل مستشاراً في شؤون الدفاع في واشنطن تحت اسم مستعار هو «ميلز اينجوتيس» اقترح فيه عملية مماثلة من منطلق أقرب إلى طرح كيسنجر، وهو أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتحمل حظراً نفطياً آخر. ونشرت مجلة فورتشون في عدد ٧ مايو ١٩٧٩م دراسة أيدت هذا التوجه»(١).

هذا من الناحية الاقتصادية أو المادية؛ أما من الناحية العقدية أو المعنوية فهذا العدو الكبير والخصم الشرس يعرف معرفة جيدة أن هذه المنطقة هي أساس الدعم العقدي المواجه لعقيدته، والإيديولوجيا المصادمة لإيديولوجيته، والرافضة لبرامجه العقدية المبنية على التنبؤات التوراتية وتعاليم المسيحية الأصولية التي يسعى إلى تحقيقها في العالم العربي؛ وقد اعترف بهذا وأعلنه بعض الساسة والمستشارين. من ذلك ما ذكره جيمي كارتر في مذكراته حيث قال: «...فعندما كانت نقود الأوبيك تسيل بحرية كان لدى كبرى الدول المصدرة للنفط عائدات غير محددة تمكنها من مساعدة أخواتها الدول العربية مالياً، أو من التأثير عليهم لكي يصبحوا أكثر تعاوناً من أجل الحفاظ على الانسجام ومن أجل تجنب النزاع الذي قد يهدد استمرار العائدات»(٢).

ويقول رالف أحد المستشارين للبيت الأبيض بأن بترول هذه

(١) النظام الإقليمي للخليج العربي، ص ٣١٦، بتصرف كبير.
(٢) رؤية الشرق الأوسط، دم براهام، ص ١٨١.

المنطقة مسخرة للعقيدة المضادة والفكر الموجه والأيديولوجيا المصادمة لعقيدة وأيديولوجيا وفكرة البيت الأبيض[*]. وكذلك (موراويك) الباحث في مؤسسة «راند» الأمريكية الاستشارية ذات الصلة القوية بدوائر اتخاذ القرار الأمريكي، حيث أشار إلى أن النفط السعودي يتولى الدعم المالي، والحرمان الشريفان يتوليان الدعم الروحي[١]. وتقول إحدى الدراسات في الكونغرس عن

(*) بل إن الهاجس الغربي قديم قدم اكتشاف النفط في المنطقة، فهناك صحيفة التايمز البريطانية التي كتبت في ملحقها الاقتصادي الصادر في عام ١٣٤٣/ ١٩٢٣م عنواناً يقول (امتياز تنقيب عن النفط في الخليج) وتحته جاء تقرير لأحد صحفييها يتحدث عن حصول شركة (إيسترن آند جنرال سنديكت) على حق امتياز التنقيب عن الذهب الأسود في منطقة الأحساء التابعة لسلطان نجد... وعن جني خزينة (ابن سعود) لربع نصف الأرباح المحتملة من إنتاج البترول. ثم علق الصحفي على الخبر: إن حصول (ابن سعود) زعيم الوهابيين على المال، يمكن أن يؤثر إيجاباً في سياسة التشدد الوهابي المنتشرة هناك!. (انظر كتاب قلب من بنقلان، د.سيف الإسلام بن سعود بن عبد العزيز آل سعود. ـ بيروت: دار الفارابي، ص٣٢٠ ـ ٣٢١).
ويمكننا أن نؤكد الوعي الأمريكي للعقائد المناهضة لمشاريعها من خلال ما ذكرته صحيفة الوطن عن مذكرة لسبعة وأربعين نائباً في الكونجرس الأمريكي يحثون فيها الحكومة الأمريكية على عدم توقيع اتفاق تجاري مع السعودية، تقول المذكرة: «لا ينبغي مكافأة المملكة بمثل هذه الميزة حتى تتخلى عن مقاطعة «إسرائيل»، وتتبنى إجراءات أكثر فعالية وتأثيراً لوقف التمويل والدعم العقائدي (الأيديولوجي) الذي يغذي الحركات الإرهابية في العالم أجمع». (صحيفة الوطن ٢١/ ٧/ ١٤٢٦، عدد ١٧٩٢).

(١) مقال بعنوان «الشيخ صالح اللحيدان بين تهمة الإرهاب ورهاب المثقفين»، حمد الماجد، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ٦/ ٥/ ٢٠٠٥م، العدد ٩٦٥٦.

أهمية السعودية بأنها تتلخص في العناصر التالية: (إن السعودية بوصفها أهم البلدان المنتجة للنفط، وأهم القوى الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية بوصفها المركز الوحيد للدين الإسلامي تلعب دوراً رئيسياً في صيانة استقرار شبه الجزيرة وأمنها، وفي مجمل منطقة الخليج والبحر الأحمر)[١]، وهذا الاهتمام من ساسة أمريكا ومستشاريها، والمشوب بالتنديد بهذه المساعدات التي تقدمها بعض دول الخليج لبعض الدول العربية تجعلنا نفهم طلب أحد وزراء خارجية دولة عربية من وزير خارجية إحدى أكبر دول الخليج المصدرة للنفط معرفة كم قيمة المبلغ المقدم من أجل تأييد مبادرة (فاس)[٢].

بل إن سعد البزاز (الدبلوماسي العراقي السابق والصحفي) يتحدث عن خطط للفصل ما بين النفط وما بين الإسلام فيقول: «...إذ كان هناك مصدر خارجي واحد على الأقل قد مرر إلى بغداد مشروعاً يُفترض أنه كان يشغل بعض الأوساط الغربية ويقوم على فكرة «احتواء مراكز الأقطاب الإسلامية سواء كانت محافظة أو متطرفة» وعلى قاعدة الفصل بين (الإسلام والنفط)..ولكي يتم ذلك فإن مراجعة للولاية السياسية على الجزيرة العربية ستكون مطروحة وقابلة للتداول إذا ما حصلت هزة كبيرة في المنطقة، وها هي الهزة قد وقعت بعد الثاني من آب ١٩٩٠، ويذكر تقرير دولي وصل إلى غير دولة عربية ومنها العراق «أن مصلحة الولايات

(١) شبه الجزيرة العربية، الدكتورة زاهية قدّورة، ص ٦٩.

(٢) التي يطلق عليها أحياناً (مبادرة الملك فهد).

المتحدة الأمريكية أن تضع في الاعتبار خيار إعادة تقسيم المنطقة إلى أشكال وحجوم جديدة للدول يشمل إيران والعراق ودول الخليج واليمن والمملكة العربية السعودية، بحيث لا تكون مصادر الطاقة على تماس بنقاط الالتهاب وعوامل التفجر، وهذا يقتضي الفصل بين النفط والإسلام، وربما أيضاً بين النفط والديموقراطية التي قد تأتي بقوى علمانية متطرفة تعمل على المس بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة»، ويمضي التقرير إلى أن انهيار أشكال الدول سيرتب البحث في خيار إقامة (فاتيكان إسلامي) على جزء من منطقة الحجاز ينفصل عن دولة نفطية في نجد ويمكن ترتيب صيغة للتوافق بين المرجعية الدينية وهيكلها السياسي وبين الحكومة النفطية الدنيوية ونطاقها في السيطرة»(١).

قد تقول يا شيخ هل هم بالفعل يهتمون بالعقيدة والإيديولوجيا والأفكار؟

أقول: نعم، ويكفي في هذا تصريحات المسؤولين الأمريكيين التي كشفت عن نوايا حرصهم ومقاصد سياستهم، وأنها جهود دينية وسياسات قائمة على عقيدة؛ فقد صرح الرئيس الحالي (جورج بوش) عدة مرات بأن حروبهم الحالية هي (حروب صليبية)؛ وهذا يتماشى مع خط الحكومة الأمريكية منذ تأسيسها فهي مؤسسة على عقيدة ودين. فهذا التصريح من الرئيس الحالي يوافق تصريح رئيس أمريكي قديم وهو (ويليام ماكينلي) فقد أمر

---

(١) رماد الحروب.. أسرار ما بعد حرب الخليج، سعد البزاز، ط٢: ١٩٩٥، ص٢٤٩.

بغزو الفلبين في سنة ١٨٩٨م، ووقف ليخطب في شعبه علناً ويقول: «نحن لم نذهب إلى الفلبين بهدف احتلالها؛ ولكن المسألة أن السيد المسيح أتاني في المنام وطلب مني أن نتصرف كأمريكيين ونذهب إلى الفلبين لكي نجعل شعبها يتمتع بالحضارة»(١). هذا البعد الديني للسياسة يؤكده نشاط القس الأمريكي جولي فاليوم، وهو يهودي يتظاهر بالمسيحية، أدخله البنتاغون في وزارة الدفاع ليروج لفكرة النزوح إلى الشرق الأوسط على أساس لإقامة دولة إسرائيل، وأن هذا أمر الله كتبه على كل مسيحي(٢).

أما الحكومة الحالية فهي أكثر اهتماماً بتحقيق عقيدتها في المنطقة؛ فقد صرح أحد أكبر رجالها ـ وهو وزير الدفاع (رامسفيلد) ـ (بأنه يجب شن معركة العقول وحرب الأفكار) والتي تستهدف تغيير مدارك العرب والمسلمين، ودعا إلى ضرورة كسب تلك المعركة، وعدم الاكتفاء بالاعتماد على القوة العسكرية وحدها(٣).

والذي يظهر لي، ومتقرر عند كثير من علماء الشريعة وعلماء الاجتماع أن من أقوى الأساليب في تغيير مجتمع مسلم يدين بالنص الشرعي وزعزعته وخلخلة أفكاره وعقائده هو النص

---

(١) أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والعدل، فهد العرابي، ص ٣١١.
(٢) معروف الدواليبي، مذكرات، إعداد د/عبد القدوس أبو صالح، تحرير د/محمد علي الهاشمي، مكتبة العبيكان، ط١: ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م، ص٢٤٩.
(٣) صحيفة نيويورك تايمز ـ بواسطة صحيفة الشرق الأوسط، مقال فهمي هويدي العدد ٢/ ١٠/ ١٤٢٤هـ.

الشرعي نفسه؛ فتغيير عقيدة مجتمع (المنطقة الشرقية) وخلخلة فكرتهم تجاه أفكار عدوهم في المنطقة وعقائده ومآربه ومقاصده لن يتحقق إلا عن طريق استخدام (النص الشرعي) الذي استخدم في غير وقته وفي غير محله؛ وحالة السكوت كان فيها أفضل من حالة الكلام كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أن من المسائل مسائل جوابها السكوت». وقبل ذلك إمام المفتين ﷺ في ترك قتل من استحق القتل من المنافقين؛ حتى لا يقال: «محمد يقتل أصحابه»؛ مع أن قتلهم شرع. وتركه بناء قواعد البيت الحرام لأن قوم عائشة رضي الله عنها يعني قريشاً ـ حديثو عهد بكفر.

فإن إخراج (المنطقة الشرقية) من مصطلح (الجزيرة العربية)، الذي أُريدَ له أن يكون حمًى وسياجاً ضد تلك الأفكار والمقاصد والمآرب القائمة على كسر نفوذ الدولة الإسلامية السنية السعودية التي تحتمي في سيادتها وهيمنتها على هذه المنطقة بهذا الحمى وهو حديث «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان». ومستقوية بكون هذه المنطقة من (جزيرة العرب) المحرم والمحظور على غير المسلمين الإقامة الدائمة فيها، وإحداث دين منافس لدين الإسلام على أرضها، وأنه لا يتملك فيها غير مسلم ولا تكون تحت سيادة دولة غير إسلامية، وذلك بحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» أيضاً.

قد تقول هذا تخيل ومبالغة في مفعول النص الشرعي في حماية المنطقة من عبادات الآخرين وعقائدهم وأفكارهم ونفوذهم واحتلالهم.

الجـواب:

لا ـ يا شيخ ـ هذا ليس بتخيل ولا مبالغة، بل واقع وتجربة ووثائق تبين مفعول هذا النص ومدى فاعليته في صد هجمات العدو الدينية والاقتصادية والعسكرية، والعدو يفهم هذه المفعولية ويدرك أثرها[١] في مضمون مصطلح (الجزيرة العربية) وأثر هذا المصطلح وهذا العرف في حكام الجزيرة وأهلها السلفيين، والسلفية شعارها النص والعمل به، وترسيخ المفهوم على الأرض.

وقبل ذكر الشواهد والتجارب التي تبين مفعول هذه النصوص وفاعليتها وتوضحهما، أقدّم مقدمة في أهمية العقيدة المستوحاة من النص الشرعي ومكانتها في علم السياسة وسيادة الأرض؛ يقول الدكتور عبد الله القباع: «من الأمور التي يمكن أن

(١) ويؤكد ذلك ما صرح به المفوض البريطاني في جدة السر اندرو ريان في العبارات التالية: «إننا عاجزون عن سحق فكرة الجامعة الإسلامية بقدر ما نحن عاجزون عن سحق الحركات الوطنية في الغرب. يجب أن يكون هدفنا التفرقة والرياء والسيطرة. ومن الضروري أن نفرق ثم نرائي لأننا لا نريد أن يتكتل المسلمون كوحدة حول المبدأ الأساسي الذي أصبح الآن شبه منسي، وهو المبدأ القائل بأنه لا ينبغي للمسلمين أن يحكمهم غير مسلم ـ (التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية ـ عرض حكومة المملكة العربية السعودية ج١ ـ الأساس ١١ ذي الحجة ١٣٧٤..

تطلق عليها ثابتاً في علم السياسة الدولية ما يتعلق بمصالح الدولة الحيوية وخاصة ما يمس الأمن القومي لهذه الدولة أو يؤثر على وجودها، حقيقة مادية أو معنوية في المنتظم الدولي. أما العوامل التي لا تكتسب صفة الثبات فهي المتغيرات التي لا تمس الأهداف العليا للدولة، ولا تؤثر على وجودها أو تخل بقيمها. والقضية الثابتة في السياسة الدولية تخضع للمنظور الاستراتيجي العام للدولة وللرؤية الفكرية للنخبة الحاكمة التي غالباً ما تبلور موقفها على أساس من فهمها للمصلحة الوطنية وإخلاصها للدفاع عن كيان وسيادة الوطن أو الأمة. أما المتغيرات فهي التي تدخل في إطار الأمور الفرعية أو القضايا التي يمكن التأثير بها، أو تغيير مواقفها، أو إعادة ترتيب أولوياتها، أو الاستغناء عن بعضها، في مقابل تحقيق نوع أفضل من المكاسب في مواقع أخرى. ويدخل في إطار الثوابت جميع الأمور التي تتعلق بحماية (الإيديولوجية السياسية للدولة أو معتقدها الديني) أو تحقيق الرفاهية والرخاء لمواطنيها أو المحافظة على ما تعتقد الدولة أنه مهم للدفاع عن مجالها الحيوي»(١).

وفي الحالة السعودية من جزيرة العرب يقول الدكتور ناصر الصالح تحت عنوان: (مبرر الوجود: أو الفكرة وراء إنشاء الدولة): «يعتبر تبني آل سعود لهذه الدعوة ومناصرتها ومؤازرتها مع تعهد النظام السياسي للدولة السعودية بتطبيق تعاليم الدين الحنيف في كل أمورها وشؤونها وعلاقاتها؛ أساس إرساء الحكم

(١) كتاب العلاقات السعودية اليمنية، د.عبد الله القباع، ص ٢٥٣.

واستقراره وهو كذلك ما يعبر عنه بمبرر الوجود للدولة أو الفكرة من وراء إنشاء الدولة كما قرره الجغرافيون وعلى رأسهم هارتسون الأمريكي .(Hartshorne, 1940, 59-60)

وقال أيضاً تحت عنوان: (نظرية الحقل الموحد): جاءت نظرية جونز المعروفة بنظرية الحقل الموحد لتفسر نشأة الدولة عبر مراحل تشكل سلسلة من الحلقات هي الفكرة والقرار والحركة والمجال والمنطقة السياسية، (Jones, P. 111-123) وبتطبيق ذلك على المملكة العربية السعودية نجد أن مرحلة الفكرة تتلخص في التلاحم والتمازج بين حركة الإصلاح الديني والدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والقوة السياسية التي قادها الإمام محمد بن سعود وهي الفكرة التي تعد بحق أساس قيام الدولة وركيزتها الأساسية. أما مرحلة القرار فهي تبني القيادة السياسية بالدرعية للحركة الإصلاحية الدينية ودعمها ومؤازرتها ثم تأتي مرحلة الحركة التي تتمثل في الحركات المناهضة لدعوة الإصلاح الديني السياسي وما تلاها من حركات معاكسة لردع تلك الحركات المناهضة ومن ثم توسع الرقعة المكانية للدولة السعودية. أما مرحلة المجال فهي المنطقة الجغرافية التي تمت فيها الحركة وتشمل جميع مناطق شبه الجزيرة العربية وأخيراً مرحلة المنطقة السياسية المتمثلة في قيام الدولة السعودية المعاصرة[١].

أما الشواهد والآثار التي تبين مفعول هذه النصوص ـ أعني

---

(١) البناء السياسي للملكة العربية السعودية تطبيق لبعض مفاهيم الجغرافيا السياسية/ د. ناصر بن عبد الله الصالح بحوث مؤتمر المئوية ص ٦ ـ ٨.

النصوص الشرعية. وتوضح أهميتها في صد الأفكار العدائية دينية كانت أم اقتصادية، وفي مواجهة مشاريع خلخلة السيادة والسيطرة على الأرض والعقول ما ذكره فرنك مانويل، في كتاب (بين أمريكا وفلسطين) صفحة ١٠٣ ـ ١٠٤، عن الحركة الوهابية ـ والمعروفة بتمسكها بالنص الشرعي ـ وأثرها في حماية السيادة على الأرض، ما نصه: «وكان أثر الحركة الوهابية على «ييل»[*] عظيماً، ذلك أن ييل كان يرى في تلك الحركة دعوة تلهب شعور أتباعها من سكان نجد، ومثل هذه الحركة إذا انطلقت اكتسحت ما أمامها بفضل التعصب للفكرة»[1].

وقد نقل الدكتور عبد المالك التميمي من تقارير للمنظمات والجماعات التنصيرية في الخليج ما يبين هذه المفعولية ويوضح أثر التدين بها، حيث قال: «وقد واجهت مكتبة الكتاب المقدس في مسقط سنة ١٨٩٧م مشكلة رئيسية عندما بدأ رجال الدين حملتهم ضد النشاط التبشيري هناك، كانت هذه المعارضة بتأثير الأفكار (الوهابية)، وفي اعتقاد بعض المبشرين أن (للعربية السعودية) بموقعها المهم في شبه الجزيرة العربية وقيادتها الدينية

(*) ولييم ييل: أمريكي كان يمثل شركات البترول الأمريكية، ثم إلى يونيو سنة ١٩١٨، أرسلته وزارة الخارجية الأمريكية إلى القاهرة ليلتحق بجيش أللنبي، وكان يعمل في قلم الاستخبارات، ودخل مع أللنبي إلى فلسطين، وكتب تقارير هامة لوزارة الخارجية، وكان أكثرها ضد اليهود. (الترجمة من كتاب (ابن سعود وقضية فلسطين)، ص١٤٠).

(١) ابن سعود وقضية فلسطين، أحمد عبد الغفور عطار، مكة: ١٤٠٤/ ١٩٨٤م، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

ومعارضتها للنشاط النصراني تأثيراً في إثارة وتشجيع هذه المعارضة، ولكن ذلك النوع من المعارضة لم يكن مقتصراً على مكان محدد؛ بل كان في الواقع يشمل المنطقة التي كانت الإرسالية تعمل بين سكانها، وتلك المعارضة كانت تختلف من مكان إلى آخر، وكانت تتنوع طبقاً ليقظة الناس ومستوى نشاط العمل التبشيري، ونتيجة لهذه الموجة من المعارضة أغلقت الإرسالية مكتبة الكتاب المقدس في الناصرية في سنة ١٩٠٢م، وقد جاء إغلاقها في وقت كانت الإرسالية تتوقع لمحطاتها الفرعية أن تنمو وتزدهر، وما من شك أن الإرسالية لم تكن في موقف يمكنها من الدخول في منازعات مع أهالي البلاد في أرضهم وبين شعبهم، ولكنها كانت تأمل أن يأتي اليوم عندما يتمكنون من التغلب على تلك المشكلة، ولكن ذلك اليوم في تلك المحطة ـ كما ورد في تقرير الإرسالية ـ لم يأت ولم تفتتح مكتبة هناك بعد ذلك مطلقاً.

وكانت المعارضة في الكويت والبحرين أشد وأكثر تنظيماً مما كانت عليه في المناطق الأخرى، وفي سنة ١٩١٣م شدد الزعماء الدينيون حملتهم ضد العمل التبشيري وافتتحوا نادياً ثقافياً إسلامياً في البحرين باسم «النادي العربي الإسلامي» برئاسة أحد رجال الدين وهو محمد بن مانح[1]، والذي كان من أصل نجدي ويعتبر من المسلمين المتحمسين ومن أنصار المذهب الوهابي، ولم يكن ابن مانع هو قائد المعارضة الوحيد في البحرين بل إن

(١) المقصود الشيخ محمد بن مانع، إذ هو الذي قد وُجد في تلك الفترة في البحرين بدعوة من مقبل الذكير رحمهما الله كما سيمر معنا.

قاضي البحرين الشيخ قاسم بن مهزع ـ الذي يرجع أصله إلى الأجزاء الوسطى من شبه الجزيرة العربية إلى الحجاز ـ كان أيضاً من كبار زعماء المعارضة، وقد أخذ القاضي بالتركيز على تعليم الشباب الذين درسوا العلوم الإسلامية في مدرسة أخيه أحمد، وكان يؤكد في تعليمه على خطورة العمل التبشيري، وكان الشيخ ابن مهزع وأخوه يشكلان جناحاً قوياً للمعارضة في البحرين عندما كان (س . زويمر) يبذل كل ما في وسعه لتأسيس مكتبة الكتاب المقدس وغيرها من المؤسسات النصرانية، وفي سنة ١٩١٣م قامت في الكويت **جمعية أخرى للمعارضة وهي «الجمعية الخيرية»** وقد حاولت الجمعية بناء مقاومتها بوصفها رد فعل على نشاط المبشرين ـ كما سيتضح من البندين الأول والثاني من خطتها:

١ ـ أن أول ما ستقوم به جمعيتنا من أعمال هو: تعيين واعظ مسلم عالم بأمور ديننا ليعظ أبناء شعبنا.

٢ ـ وقد قررنا أن نأتي بطبيب وصيدلي مسلم لمعالجة مرضى بلادنا.

٣ ـ وقد قامت هذه الجمعية بإنشاء مكتبة جيدة»[(١)].

ويرى د.عبد المالك التميمي في موضع آخر من كتابه وهو يحلل أسباب فشل الحملة التبشيرية في الخليج العربي: «كان الشعور الإسلامي قوياً بين الناس، ومما كان يشجعهم على الثبات

(١) كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي، د. عبد المالك التميمي، مركز زايد للتراث والتاريخ: ١٤٢٠هـ، ص ٢٠٨.

في عقيدتهم قربهم من الأماكن المقدسة وتأثير الحركة الوهابية في ذلك الوقت»[١].

كان الوعي في ذلك الوقت بأهمية العلماء السلفيين في صد الهجمة التبشيرية أمراً ملحوظاً، إذ لا سبيل لقمع العقيدة إلا بعقيدة مضادة تحمل في طياتها كل الدفاعات والحواجز ضد المد التبشيري، فعلى سبيل المثال دعا مقبل الذكير ـ أحد تجار نجد وأعيانها المقيمين في البحرين للتجارة ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع، لمكافحة التبشير وفتح له لهذا الغرض مدرسة أخرى عام ١٣٣٠هـ، فأقام في البحرين أربع سنين، وشرح في أثناء ذلك بالبحرين العقيدة السفارينية المسماة «الدرة المضيئة»، ثم دعاه حاكم قطر آنذاك عبد الله بن قاسم بن ثاني فتوجه إليها في شهر شوال عام ١٣٣٤هـ[٢].

وهناك نص تاريخي يبين جهود المعتمدين على النص الشرعي وفاعليته في مواجهة العقائد المنحرفة والحركة التنصيرية، ذُكر في ترجمة للشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر عن سبب تأليفه لكتاب (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب): «كانت الدول الأفرنجية قد مدت إصبعها في بلاد العرب، وفكرت

(١) المصدر السابق، الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط١: ١٩٨٢، ص ٢٩٠.

(٢) د. محمد بن سعد الشويعر، «من رواد العلم والتعليم في المملكة العربية السعودية الشيخ: محمد بن عبد العزيز المانع ١٣٠٠ ـ ١٣٨٥هـ»، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٥٤، (ربيع الأول ـ ربيع الآخر ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ)، ص٢٩٨.

في أن تبسط نفوذها على تلك الربوع، ومن ذلك بلاد البحرين، كانت مثار خلاف بين الإنكليز، والفرنسيين، والدولة العثمانية، والعجم، كل تريد أن تبسط نفوذها عليها، وأرسلت كل واحدة مندوباً من قبلها، فكان مندوب الإنكليز رجلاً قسيساً اختارته انكلترا ليكون أبلغ إلى مقصودها بدهائه، وعظيم مكره، وليعمل على بث الدعاية المسيحية، وينشر في تلك البلاد الشبهات والشكوك النصرانية، ليفتن الناس عن دينهم إن استطاع، وتلك سياسة أوروبا في كل الشرق الإسلامي، أعظم ما تهتم له تشكيك الناس في دينهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فعمل ذلك القسيس الإنكليزي كتاباً أورد فيه شبهات نصرانية، يزعم فيها تصحيح الملة المسيحية الخاسرة، ودفعه إلى أمير البحرين وشيخها عبد الله بن خليفة، وكان قد قبل أن يكون تحت الحماية الإنكليزية، وكان بهذا الكتاب شكوك وشبهات كثيرة ظنها هذا القسيس تروج على أهل تلك الديار، لزعمه أنهم جهلة بالدين، ولا يحيطون من الإسلام بما يكشف أباطيله، وطلب من الشيخ عبد الله بن خليفة أن يعرضه على المشايخ، وعلماء البحرين، ويردوا على ما فيه، أو يقولوا رأيهم، إن كانوا موافقين أو مخالفين، فدفعه الشيخ ابن خليفة إلى من كان عنده من علماء البحرين، وطلب منهم أن يردوا على الكتاب، فلما قرأوه، وجدوا أنفسهم عاجزين عن الرد عليه، فاعتذروا، وقالوا: ما نستطيع أن نرد على ما فيه من الشُّبه، ثم أرسله إلى علماء

الأحساء، فقالوا مثل ما قال علماء البحرين من إظهار العجز، وقال بعض علماء الأحساء: ليس هذا النصراني كفؤاً أن يجاب، فحزن لذلك الشيخ ابن خليفة أشد الحزن، واغتم به أشد الاغتمام، فلما رأى من حوله ما هو فيه من الهم والحزن لعجز علماء البحرين والأحساء عن دفع شبه ذلك القسيس، قال له أحدهم: إنه قد نزل بالبحرين شاب من طلبة العلم النجديين، فأرى أن نعرضه عليه، لعل الله أن يزيح عنا به هذه الغمة، فأعطاه الكتاب، وأوصله إلى الشيخ عبد العزيز، وقص عليه أمْره وأمْر العلماء، واغتمام الأمير لعجزهم، واهتمامه بالرد على مثل هذه الشبه، فتناوله الشيخ، وأحدَّ النظر فيه، وقال: إن شاء الله يجيئكم دحض هذه الشبه بعد شهر إن شاء الله، وما لبث الشيخ إلا أياماً قليلة حتى أتم الرد، وبعث به إلى الأمير، ففرح به أشد الفرح، ودعا القنصل الإنكليزي، وأعطاه الرد، فلما طالعه القسيس عجب له، واندهش جداً، لما كان يظنه من عجز علماء البحرين، وقال: هذا الرد لا يكون من هنا، وإنما هو من البحر النجدي، فقال له الأمير: نعم، هو أحد طلبة العلم النجديين، فأغاظ هذا شيخ البحرين، وأخذ يتهدد علماء البحرين، ويعيرهم بعجزهم عما قام به طالب نجدي صغير(١).

يقول الدكتور علي النملة: (في منطقة القصيم في المملكة

---

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد آل معمر، ط٣، الطائف: دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٤٠٠هـ، ص ٥ - ٧. وقد كتب الترجمة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

العربية السعودية قابلت رجلاً من جنوب شرقي آسيا، قدم بتأشيرة عامل، ولكنه كان قبيساً منصراً، جاء ليثبت إخوانه النصارى، العاملين في البلاد، واهتدى إلى الإسلام، وأصبح داعية بين أبناء قومه وغيرهم، الذين جاء أصلاً ليثبتهم على النصرانية، وصار له تأثير على المسجونين كبير)[١].

لعلنا نلاحظ في هذه التقارير والنصوص التاريخية أن المعارضة تكون من المنتمين للمذهب السلفي - الوهابية - ومن المعلوم أن المذهب السلفي من أصوله الاعتماد على النص والعمل به وتفعيله؛ ونلاحظ كذلك أثر الدولة السعودية في مواجهة برامج التنصير ومشاريعه، وهذا من أثر المذهب عليها؛ وأما أثر هذه النصوص ومفعولها وفاعليتها على الأرض في حفظ العقيدة والأخلاق ومواجهة الغزو الفكري قبل الغزو العسكري في الزمن القريب والحاضر. ومثال ذلك ما قاله جيمس بلغريف (James Belgrave)- الذي كان صديقاً حميماً ومستشاراً لشيخ البحرين - ينصح الكابتن سي جي بريور (C.G.prior) قائلاً: «اعتقد أن موقف الجمهور ودي تجاه البعثة بسبب عملها الطبي بيد أنه كان هناك بعض المعارضة ذات أساس ديني، وهي مسألة مبدئية أكثر منها تخوف من تحوُّل المحمديين [المسلمين] على النصرانية»[٢]، ويذكر مؤلف كتاب (أصول التنصير في الخليج

(١) كتاب التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته لعلي إبراهيم الحمد النملة ط ٤ ص ٨٣.

(٢) أصول التنصير في الخليج العربي، ترجمة مازن صلاح مطبقاني، ص ١٦٢.

العربي) نصيحة بلغريف لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) عندما تم التعاقد معها، فيقول المؤلف: «نصحهم بلغريف أن يظهروا احترامهم للإسلام بالامتناع اختيارياً عن مناقشة النصرانية أو إقامة شعائرهم على أرض الجزيرة. وقد اتبعت أرامكو هذه النصيحة، لذلك كان على رجال أرامكو الراغبين في إقامة الطقوس النصرانية أن ينتقلوا إلى البحرين بالقوارب ولم تقم هذه الشعائر على الأرض السعودية..»[1]. ويؤكد ذلك ما ورد في نص تعاقد وزارة المالية مع شركة أرامكو في المادة السادسة والثلاثين، إذ تقول هذه المادة: (منعاً لحصول أي التباس فإنه من الواضح الجلي أنه لا يحق للشركة أو لأي شخص تابع لها أو منسوب إليها أن يتدخل في الشؤون الإدارية أو السياسية أو الدينية في المملكة العربية السعودية)[2].

كما أن صحيفة الواشنطن بوست كتبت في أثناء حرب الخليج الثانية، تقول: (بلغ من حرص الأمريكيين على عدم إيذاء المشاعر السعودية أنهم تجنبوا القول: إن الرئيس بوش أدى صلاة الشكر مع الجنود؛ لأن السعودية بوصفها دولة إسلامية تحرم ممارسة دين آخر؛ ولذلك صلّى بوش على ظهر بارجة في البحر)[3]. وقد أكد ذلك الجنرال الأمريكي نورمان شوارتزكوف (قائد قوات التحالف في حرب الخليج الثانية) ذلك في مذكراته

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) عبد الله السليمان الحمدان... صفحة مشرقة في تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، ص ١٨١.

(٣) كتاب الجنازة حارة، جلال كشك، ص ٢٠١.

بقوله: إن السعودية عندما رفضت السماح، لفرقة فرنسية غنائية بصحبتها راقصات، إقامة حفل ترفيهي للجنود الفرنسيين، احتج المسؤولون السعوديون بأن أمريكا كانت تراعي قضايا السيادة السعودية حتى إن رئيس الولايات المتحدة أمّ الصلاة في سفينة في عرض البحر. وليس من اللياقة أن يطلب الفرنسيون فرقة موسيقية مرفقة بفتيات راقصات[١].

ونشرت صحيفة (التايمز) البريطانية في افتتاحيتها قولها: (...وفقاً لمذهب الوهابيين فإن الكنائس المسيحية لا يسمح بها على الإطلاق في السعودية...).

وفي صحيفة (الإندبندنت) يناير ١٩٩١م، كتبت سوزان اليكوت: (... المشتركون في علمية درع الصحراء ممنوع عليهم الخمر؛ كما أن المجندات يطلب منهن تغطية أذرعهن أثناء العمل..المملكة التي تضم أقدس مدينة في الإسلام أغضبت الجنود المتغربين عن وطنهم بتحريم قراءة الإنجيل علناً ومنع القساوسة من إظهار الصليب على ثيابهم. وفي مبادرة سعودية ألغت السعودية المنع الذي كان على بطاقات عيد الميلاد بشرط ألا تحتوي على صور ميلاد المسيح أو العذراء مريم أم المسيح)[٢].

ونقل الأستاذ جلال كشك ـ رحمه الله ـ خلال رده على ما جاء في الصحف البريطانية (التايمز وغيرها) حيث قال: «على

(١) الأمر لا يحتاج إلى بطل..مذكرات شوارتزكوف، نورمان شوارتزكوف، دمشق ـ القاهرة: دار الكتاب العربي، ص ٣٨٦.
(٢) كتاب الجنازة حارة، ص ٢٠٦.

رائحة الدم جاءت الضباع فانهالت الرسائل التي تطالب بحق فتح الكنائس وزرع الصلبان في السعودية؛ فنشرت الصحيفة بعد أربعة أيام أربع رسائل في يوم واحد كلها تهاجم المملكة لأنها خالية من الكنائس»[١].

قال مستر دمنال جامبل: «لو كان هؤلاء الجنود في (....) لأمكنهم أن يختاروا لصلاتهم ما شاؤوا من الكنائس؛ وعلى سبيل المثال الكنيسة الإنجيلية الواقعة على الجانب الآخر من الشارع؛ وهي الكنيسة الإنجيلية التي بنتها فرقة المدفعية الملكية تحية للرماة الذين ماتوا في تلك المنطقة؛ ولو كان جنودنا في (....) بدلاً من السعودية لكان بوسعهم أيضاً أن يحصلون على بيرة وسندوتش من لحم الخنزير ويذهبون للسينما. والنساء منهم كان بوسعهن أن يسقْن ويسبحن ويأخذن حمام شمس»[٢].

وأختم هذه النقول بتصريح غاية في الأهمية وهو للجنرال نورمان شوارتزكوف ـ قائد قوات التحالف ـ «لنتصرف بحرص وإلا لن نربح الحرب؛ بل وسنخسر السلام. لا توجد وسيلة لإخفاء (٤٠٠) ألف عسكري، ولكنَّ هناك طرقاً عديدة لاحترام العادات المحلية ولذلك اشترت بعض الأمريكيات عباءات»[٣].
ويقول أيضاً في مذكراته التي نشرت بعنوان «الأمر لا يحتاج إلى بطل»: «اعترض أحد القادة على حظر مجلات الجنس مدعياً أن

(١) المرجع السابق، ص ١٩٧.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩٧.
(٣) المرجع السابق، ص ٢١٠، بتصرف يسير.

للجنود حقاً دستورياً بقراءة المطبوعات التي يتمتعون بها في الولايات المتحدة فقلت: (آمل أن نعترف بأن دستور الولايات المتحدة يطبق فقط على الأرض الأمريكية وعليه فإننا لا نملك أية حقوق دستورية في المملكة العربية السعودية وقانون هذه البلاد هو القانون السعودي كما تعلمون، وعليه مثلما نطلب منهم أن ينصاعوا لقوانيننا في الولايات المتحدة فإنهم يطلبون أن ننصاع لقوانينهم هنا)»[١].

يُستفاد من هذه المقولات وتلك الاحترازات أن هؤلاء الأجانب من نصارى ويهود يحسبون لدين المجتمع وعباداته وعقيدة أفراده المجتمعين تجاه منطقتهم وأرضهم ووطنهم بأن لا ترفع فيه راية غير راية الإسلام، ولا يزاحم دينهم غيره من الأديان ولا يكون فيها ولاء إلا لحاكم مسلم، وما ذلك إلا بسبب إيمان أكثرية الناس بهذا الحديث «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان» وإيمانهم بحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»، وسبب تدين غالبية الناس أو غالب أفراد المجتمع بمفعول هذه الأحاديث وبعدها في حماية المكان بأن لا يعبد فيه إلا الله وأثرها في إطالة زمان توحيد الله والعقيدة الصحيحة في ذات الله في هذه البقعة ومفعول هذه النصوص في حماية السيادة عليها؛ هو تعبئة دعاتهم وعلمائهم لهم تجاه هذه القضية، ورفع همة المجتمع إزاء هذا الأمر المهم، وعماد هؤلاء العلماء والدعاة واعتمادهم هو (النص الشرعي)، الذي غايته إخراج اليهود والنصارى والمشركين

(١) نورمان شوارتزكوف،

من جزيرة العرب وحديث «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»؛ فمن الحكمة المطلوبة شرعاً استجابة لقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥] أن تُترك هذه التعبئة على ما هي عليه وما أنتجته من ثمار على المنطقة، ومن الحكمة كذلك ترك همة أفراد المجتمع عالية تجاه ما خص الله به الجزيرة العربية من دين وعقيدة وأخلاق وسيادة واختصاصهم في خدمة كل قضية فيها خير للإسلام والمسلمين.

وقد كانت هذه التعبئة ورفع الهمة سنةً وطريقةً ومنهجاً لعلماء الجزيرة العربية وحكامها، وبالذات في وقتنا الحاضر تجاه عدوهم ومخططاته ومحاولاته في احتلال أرض المسلمين من خلال احتلال عقولهم واختراق عقيدتهم في عدوهم، فمن ذلك يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «الوثنية المحضة لا تقر بحال لا في مشارق الأرض ولا في مغاربها والمرتدون أغلظ وأغلظ، واليهود والنصارى يقرون بالجزية لكن لا في جزيرة العرب (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)، وإقرار النبي ﷺ لليهود في خيبر بالجزية لإصلاح ما يصلحون منسوخ بما أوصى به عند موته»[1]. ويقول الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتاب (حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد أهل الإسلام)، تأليف الشيخ إسماعيل الأنصاري: (...لا ريب أن موضوع الرسالة مهم جداً لاسيما في هذا العصر الذي كثر فيه اختلاط الكفار بالمسلمين، ونشاط النصارى في بناء الكنائس في

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ٦/ ٢٣٠.

بعض البلاد الإسلامية ولاسيما في بعض دول (الجزيرة العربية).

وقد أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ على تحريم بناء الكنائس في البلاد الإسلامية وعلى وجوب هدمها إذا أحدثت، وعلى أن بناءها في (الجزيرة العربية كنجد والحجاز وبلدان الخليج واليمن) أشد إثماً وأعظم جرماً؛ لأن الرسول ﷺ أمر بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من (جزيرة العرب) ونهى أن يجتمع فيها دينان وتبعه أصحابه في ذلك. ولما استُخلف عمر رضي الله عنه أجلى اليهود من خيبر؛ عملاً بهذه السنة، ولأن الجزيرة العربية هي مهد الإسلام ومنطلق الدعاة إليه، ومحل قبلة المسلمين فلا يجوز أن ينشأ فيها بيت لعبادة غير الله سبحانه كما لا يجوز أن يقر فيها من يعبد غيره. ولما حصل من التساهل في هذا الأمر العظيم رأيت أن نشرها وتوزيعها من المهمات، ولهذا أمرت بطبعها ونشرها وتوزيعها على حساب رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ نصحاً للأمة وبراءة للذمة ومساهمة في إنكار هذا المنكر العظيم والدعوة إلى إنكاره والتحذير منه. وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يطهر بلاد المسلمين عموماً و(الجزيرة العربية) خصوصاً من جميع المعابد الشركية، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين إلى إزالتها والقضاء عليها؛ طاعة لله سبحانه وامتثالاً لأمر رسوله عليه الصلاة والسلام وسيراً على منهج سلف الأمة وتحقيقاً لما دعا إليه علماء الإسلام من إزالة الكنائس والمعابد الشركية المحدثة في بلاد المسلمين إنه جواد كريم)[1].

(١) في مقدمة كتاب (حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد أهل الإسلام)، إسماعيل الأنصاري، ص ٦.

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ: «أولاً يجب أن يعلم أنه لا يجوز استقدام الكفرة إلى هذه الجزيرة لا من النصارى ولا من غير النصارى؛ لأن الرسول ﷺ أمر بإخراج الكفرة من هذه الجزيرة، وأوصى عند موته ﷺ بإخراجهم من هذه الجزيرة؛ وهي المملكة العربية السعودية واليمن ودول الخليج، كل هذه الدول داخلة في الجزيرة العربية؛ فالواجب ألا يقرّ فيها الكفرة من اليهود والنصارى والبوذيين والشيوعيين والوثنيين، وجميع من يحكم الإسلام بأنه كافر لا يجوز بقاؤه ولا إقراره في هذه الجزيرة، ولا استقدامه إليها إلا عند الضرورة القصوى التي يراها ولي الأمر؛ كالضرورة لأمر عارض ثم يرجع إلى بلده ممن تدعو الضرورة إلى مجيئه أو الحاجة الشديدة إلى هذه المملكة وشبهها؛ كاليمن ودول الخليج»(١).

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «أما قوله ﷺ: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)؛ فالمعنى لا تقام شعائر الكفر في جزيرة العرب، يعني مثلاً لا تبنى الكنائس ولا ينادى فيها بالناس بالناقوس وما أشبه ذلك، وليس المعنى أنه لا يتدين أحد من الناس في نفسه فقط، بل المراد أنه لا يكون لهم كنائس أو معابد كما للمسلمين مساجد وأما قوله (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب) فالمراد منها السكنى، وأما الأُجَراء وما أشبه ذلك فلا يدخلون في هذا لأنهم ليسوا قاطنين بل سيخرجون. وأما إبقاء الرسول ﷺ يهود خيبر فيها فإنه لم يبقهم إبقاء مطلقاً عاماً؛ بل قال: «نُقرّكم فيها ما شئنا» يعنى إلى أمد

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وترتيب محمد بن سعد الشويعر، ص ٤٥٤.

وهذا الأمد كان لانتهائه سبب وذلك في عهد عمر رضي الله عنه عندما اعتدوا على عبد الله بن عمر وعلى الرجل الذي بات عندهم ولم يفوا بما عليهم فطردهم عمر رضي الله عنه»[١].

ومع ذلك جاءت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والمكونة من الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد العزيز آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان والشيخ بكر أبو زيد تحت عنوان:

بيان هام بتاريخ ٢٢/١٢/١٤١٨هـ

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛

فغير خافٍ على كل مَنْ نَوَّر الله بصيرته من المسلمين شدة عداوة الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم للمسلمين، وتحالف قواهم واجتماعها ضد المسلمين ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم الحق دين الإسلام الذي بعث الله به خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ إلى الناس أجمعين، وأن للكفار في الصدّ عن الإسلام وتضليل المسلمين واحتوائهم واستعمار عقولهم والكيد لهم وسائل شتى؛ وقد نشطت دعوتهم وجمعياتهم وإرسالياتهم وعظمت فتنتهم في زمننا هذا، فكان من وسائلهم ودعواتهم المضللة بعث نشرة باسم

(١) لقاءات الباب المفتوح، الشيخ محمد بن عثيمين، الجزء الثاني، ص ٣٦٨.

«معبد أهل الكتاب في دولة جنوب إفريقيا» تُبعث للأفراد والمؤسسات والجمعيات عبر صناديق البريد في جزيرة العرب ـ أصل الإسلام ومعقله الأخير ـ متضمنة هذه النشرة برامج دراسية عن طريق المراسلة وبطاقة اشتراك بدون مقابل في كتب «التوراة والزبور» وعلى ظهر هذه النشرة مقتطفات من هذه الكتب. هذا وإن من عاجل البشرى للمسلمين استنكار هذا الغزو المنظم والتحذير منه بجميع وسائله، وكان من هذه المواقف المحمودة وصول عدد من الكتابات والمكالمات إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء آملين صدور بيان يقف أمام هذه النشرات ويحذر من هذه الدعوات الكفرية الخطيرة على المسلمين»[(١)].

أما حكام الجزيرة فهناك وثيقة تبين نهج الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ تجاه تعبئة الناس فيما فيه خير للإسلام والمسلمين، وحفظ حقوقهم وحماية أراضيهم وعدم تهوين خطط الأعداء في عقولهم وقلوبهم ورفع همم المجتمع المسلم وعدم الخضوع والاستكانة للمؤامرات في الاستيلاء والتفتيت للبلاد الإسلامية؛ ويلاحظ في هذه الوثيقة أن تعتمد هذه التعبئة وهذا التشحيذ على طلاب العلم؛ فالمسؤولية عليهم أعظم في هذا الأمر العظيم دون غيرهم، يقول الكاتب جلال كشك ـ رحمه الله ـ: «قد أعطانا الشيخ عبد الله بن عبد العزيز السديري وثيقة نادرة هي برقية بعث بها عبد العزيز إلى أمراء المناطق ومن بينهم والد الشيخ عبد الله

(١) الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، محمد بن ناصر الشثري، ص ١٤٥.

وهي برقم: ٣١٥٧/ في ٨ جمادى الأول ١٣٥٦ ـ أغسطس ١٩٣٧م»: لابد عندكم خبر من الجرايد والإذاعات عن مشكلة فلسطين بين اليهود والعرب وقبل يومين أصدر الإنجليز قراراً بأن تكون فلسطين ثلاثة أقسام قسم لليهود وقسم للعرب وقسم يكون للانتداب، وهذا لا شك قرار مضرّ بالإسلام والعرب عاجلاً أو آجلاً ووجود حكومة يهودية في بلاد العرب ضرر ظاهر لا يقبل السكوت عليه، وهذا أمر مخل علينا، فأنت تقوم بالمسألة وتتكلم مع إنسان طالب علم وتصير كأن المسألة منك أنت وأن هذا أمر بلغك وأنه مجزعك وأنك تبغي تكتب لنا عنه أنت وأهل الجوف، وتراجع بالمسألة عالم وتستلحق عقلاء وكبار أهل الجوف، وتتكلم معهم وتقول لهم بأنكم تكتبون لعبد العزيز احتجاجاً على القرار الذي صدر وأنه أمر مخل بالدين والعروبة ويطلبون منا أن نقوم بالمسألة ونعاضد أهل فلسطين ولابد عندكم من يعرف يكتب في مثل هذه المسائل، واكتبوا إقرارات الاحتجاج مفتوحة ممضاة بأسماء كبار أهل الجوف وعلمائهم وتحمس لأهل فلسطين في البلاد، والبرقيات تكون تصلنا بكرة)[(١)] [(*)]. وفي كلمة للملك عبد

(١) السعوديون والحل الإسلامي، جلال كشك، ص ٥٢.

(*) ومما يدل على أثر العقيدة الصحيحة على الملك عبد العزيز الحاكم؛ ما شهد به المعتمد البريطاني في حوار له مع الشيخ مبارك بن صباح حين علم الأول بخروج عبد العزيز لفتح الرياض: (إن هذا الشاب لن يكون عميلاً، له عقيدة وله دولة تاريخية، سنضع العقبات في طريقه). انظر كتاب (لسراة الليل هتف الصباح، عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ـ ط١: ١٩٩٧م، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

العزيز ـ رحمه الله ـ خلال الاحتفال بمناسبة مرور خمس سنوات على تأسيس مركز الخرج الزراعي وقف جلالة المغفور له ليقول: «ما لم يصبح العرب قادرين على تكوين طبقة اجتماعية متطورة ـ علمياً وفنياً ومهنياً ـ في الوقت المناسب؛ فسيكون الوارثون لهم في وضع يكونون فيه مضطرين ومرغمين على تجديد (الامتيازات الأجنبية) الخاصة بالشركات الأجنبية؛ وستكون هذه الأخيرة هدفاً لإغراءات شديدة إلى الإقامة المستمرة فيتبخر استقلال الجزيرة العربية كما يتبخر الحلم»[1].

وقال في مناسبة أخرى: «إن خطتي التي سرت ـ ولا أزال أسير عليها ـ هي: إقامة الشريعة السمحة، كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف»[2].

ومن ذلك الخطب التي فيها رفع لهمم المسلمين الحاضرين والغائبين لمواجهة أعداء الأمة من المستعمرين وتشحيذ العزائم لتخليص (جزيرة العرب) من الغاصبين والمحتلين .**فمن ذلك خطبة الملك سعود ـ رحمه الله** ـ في الحج، إذ قال: «إخواني المسلمين في هذا المشعر الحرام دعونا نتجه الآن في يومنا هذا ومن مكاننا هذا إلى الله تعالى؛ نتجه إليه بقلوبنا وأسماعنا وبأبصارنا وبخوالج أفئدتنا بالدعاء إلى الله بأن يجمع على الخير قلوبنا، وعلى البر والتقوى عزائمنا، وأن يمن علينا برضوانه وغفرانه وأن يرعى

(١) مجلة الفيصل، العدد السنوي، ١٤٢٥هـ، ص ٤.

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص ٢١٥.

برعايته ويكلأ بعنايته إخواننا الفلسطينيين الذين أُخرجوا من ديارهم ومن أوطانهم بغير حق، وأن يعيدهم إلى أوطانهم سالمين منصورين، بعد أن يعين الله على إخراج العصابة الشريرة الفاجرة التي أخرجتهم من ديارهم ظلماً وعدواناً وأن يؤيد بنصره إخواننا المجاهدين في عمان والجنوب العربي؛ حتى تتحرر (جزيرتنا) من الغاصبين والمحتلين، وأن ينصر الله بنصره إخواننا المجاهدين في الجزائر المدافعين عن بيضة الإسلام وعن كرامة العروبة وعن عقيدة التوحيد. اللَّهُمَّ إنهم عصابتك الموحدة، وكتيبة الإسلام المناضلة يدافعون عن حريتهم؛ ويذودون عن عقيدتهم بأرواحهم، ويموتون شهداء على كل شبر من أديم أرضهم»(١).

ونحو ذلك قال الملك سعود في أحد خطاباته: «إن العرب قد ظُلموا في فلسطين وشمال إفريقيا والبريمي **وجنوب الجزيرة العربية وشرقها**.... إن العرب يطالبون الغرب أن يعيد لهم حقوقهم في فلسطين وأن يحرر شمال إفريقيا **وجنوب إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وشرقها**..»(٢).

فمما سبق نرى تعبئة ملكية وعلى مستوى حكام الجزيرة العربية في المحافظة على بلاد المسلمين عامة والجزيرة العربية خاصة.

ومن ذلك ما صرح به الأمير سلطان بن عبد العزيز من منع

(١) مختارات من الخطب الملكية، ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ الملك سعود بن عبد العزيز ١٣١٩. ١٣٨٩هـ، د. سلمان بن سعود ابن عبد العزيز، دار الساقي، ١/ ٥٨٤.

بناء الكنائس في السعودية منطلقاً من خاصية الأرض السعودية. فقد قال: «إن السعودية لكونها الأرض التي هي مهبط الوحي وشهدت مولد الإسلام لن يسمح بإقامة الكنائس عليها؛ وهذا البلد منبع النبوة والرسالة ولا يمكن أن يضاد هذا الشيء ولو كان على رقابنا؛ وهؤلاء الذين يطالبون ببناء الكنائس للأسف أنهم متعصبون.لم يكن في الماضي كنائس ولا في الحاضر ولن يكون في المستقبل والذي يطلب هذا الشيء عليه أن يصمت وأن يستحي من هذا الطلب»[(١)][(*)].

نلاحظ في هذا الخطاب محاولة التعبئة ضد فكرة إقامة الكنائس من خلال مصطلح جغرافي، وانطلاقاً من خاصية المكان (مهبط الوحي ومولد الإسلام ومنبع النبوة والرسالة). فنرى هنا تعميماً للمصطلح ولتلك الخاصية على جميع مناطق الدولة؛ وهذا التعميم يظهر مفعول المصطلح وأثره في الوحدة الفكرية والوحدة

---

(١) وكالة الأسوشيتد برس بتاريخ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

(*) ونحو ذلك تحدث الأمير سلمان بن عبد العزيز، فقال في حديثه للصحافة عن الدولة السعودية: «أقول نشوء هذه الدولة منذ أكثر من مائتين وخمسين سنة نشأ على أساس حركة إصلاحية الدولة..نشأت هذه ١٧٤٧م تقريباً..هي سميت حركة إصلاحية ونحن مستمرون فيها حتى الآن ونحن نعتبر أنفسنا كلنا رجال دين..»، وتابع حديثه عن السعودية فيقول: «لا ننسى إطلاقاً أن شعب المملكة العربية السعودية يمثل الجزء الأكبر من جزيرة العرب، هي مملكة العرب، لا ننسى إطلاقاً أن المملكة العربية السعودية تضم الحرمين الشريفين وهي منطلق الإسلام...» (صحيفة عكاظ، السبت الأول من رجب ١٤٢٦، السنة ٤٧، العدد١٤٢٢٤).

العقدية التي هي أكبر مسهم وداعم للوحدة الجغرافية السياسية والطريق إلى وحدة السيادة.

ومما يدل يا شيخ على مفعول التعبئة للجماهير وأثرها في الاحتلال والاستقلال تبني العدو لها واتخاذها وسيلة لاحتلال البلاد الإسلامية وتقسيمها وتفتيتها ولو بعد حين. فمن ذلك يقول الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ: «ومما نذكره بهذه المناسبة مع شكر الله وحمده ما قام به جلالة الملك[1] حفظه الله تعالى في هذه الجزيرة العربية من إبطال العصبيات القبلية ومنع الغارات والشحناء بين العرب في سائر ما امتد إليه حكمه في دياره، فقد كانت القبائل يتحامى بعضها على بعض كل يدعو قبيله ونفيره ويستعديه على أخيه؛ فدعاهم لتوحيد الله ونبذ ما كانوا عليه من الشرك والضلال، فانقادوا لذلك طوعاً أو كرهاً وجعل منهم أمة واحدة لا تشعر بغير الشعور الإسلامي ولا تعرف غير الإسلام مذهباً دينياً وسياسياً، ولا تتخلق بغير أخلاق العرب التي أقرها الإسلام، فالحمد لله على نعمه ونسأله المزيد من فضله وكرمه. أما دعوى الوحدات الجزئية من الأمة الواحدة فقد انتشرت هذه الفكرة ويا للأسف عن طريق مدارس (التبشير المسيحية في مصر وسوريا) ليفسدوا على المسلمين عقائدهم الدينية وعلى العرب جامعتهم العربية السياسية، فألقوا في أذهان الأطفال ألفاظاً طربت لها آذانهم صغاراً وأثرت في نفوسهم كباراً فظنوا أن ذلك طريق العزة لهم والمنعة، وما

(١) يقصد الملك عبد العزيز.

علموا أن ذلك سبب لضعفهم وتفكيك لأوصالهم، قالوا لهم نكاية بالترك والسوريين يومئذ: مصر للمصريين، ثم صاروا يقولون: سوريا للسوريين، والعراق للعراقيين، والحجاز للحجازيين، ونجد للنجديين، واليمن لليمانيين، ثم زادوا هذا الخرق اتساعاً في سورية خاصة فقالوا: فلسطين للفلسطينيين، والشام للشاميين، وحلب للحلبيين، وبيروت للبيروتيين..إلخ، وهكذا كانوا)[1]، ولمن أراد التفصيل بسرد الوقائع وإظهار الأسماء، فهذا كلام د. إلهام محمد شاهين في رسالة الدكتوراه (العلمانية في مصر وأشهر معاركها) في معرض الحديث عن أحمد لطفي السيد ورفعه لشعار «مصر للمصريين»: (وتلك الدعوة ـ أي «مصر للمصريين» ـ ليست من بنات أفكاره، وإنما ألقى له بها رجل ثري يدعى المسيو نافيل، كان مشهوراً بعلاقاته برجال السياسة، وقد التقى ذلك الرجل بلطفي السيد أثناء تواجده في سويسرا، وذهب إلى مقر إقامته بجنيف وأجرى مع لطفي السيد حديثاً طويلاً انتهى بقوله: «لا أظن أن أوربا تساعدكم على انجلترا...وأرى أن لا يحرر مصر إلا المصريون»). وفي موضع آخر تنص الرسالة على ما يلي: (سارع لطفي السيد فور وصوله إلى الإسكندرية، بإرسال تقرير عن رحلته، إلى الخديو عباس، نسي أو تناسى المهمة التي كان قد أرسله فيها الخديو عباس، وجاء بقوله: «إن مصر لا يمكن أن تستقل إلا بجهود أبنائها»، وهنا تخلى عنه الخديو عباس

(١) كتاب المنتقى من روائع مجلة المنار، عز الدين بليق، ص ٩٤٨.

لأنه علم أنه بتلك الدعوى لن يكافح الإنجليز من أجل الإسلام والمسلمين، وإنما سيكافح الخلافة الإسلامية أولاً»(١).

قد تقول: هل لهذه الدرجة تفعل الفتوى الفردية، أو إلى هذا الحد يفعل الاختيار الفقهي الشخصي في تغيير للمفاهيم والعقائد التي تقوم بدورها بالتغيير على سطح الأرض؛ وهل إلى هذه الدرجة يستفيد منها الآخرون من المستعمرين القادمين من الخارج وأعوانهم في الداخل؟

الجواب: نعم.. والتاريخ الماضي والواقع الحاضر يوضح هذه الاستفادة ويبين مفعولها وخطورتها ونجاحها في كثير من الأحيان والحالات. فمن ذلك ما حصل في الاستعمار الإنجليزي للهند والمناطق الإسلامية؛ ومن ذلك ما قاله (هنتر) ـ المكلف بالتحقيق حول الحركة الجهادية في الهند من الحكومة الإنجليزية ـ تجاه فتوى الشاه عبد العزيز أكبر أبناء ولي الله الدهلوي؛ وكان لفتواه أثر فعلي في بث روح الجهاد لمقاومة المستعمر؛ إذ أعلن فيها: (أن الأجزاء التي احتلها غير المسلمين في الهند هي دار حرب؛ يجب السعي لاستردادها، وأن الوضع الحربي قائم بينها وبين بقية الهند حتى تعود إلى حكم الإسلام)، يقول (هنتر) عن هذه الفتوى: «حين استفتى الناس أعلم علماء الهند السيد عبد العزيز وابن أخيه عبد الحي أفتيا أن الهند دار حرب) فهذا يدل على متابعتهم ومراقبتهم

(١) العلمانية في مصر وأشهر معاركها، د.إلهام محمد شاهين، ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

للفتاوى وأثرها على الاحتلال أو الاستقلال»[1].

وفي مقال آخر يقول الأخ الأستاذ خادم حسين إلهي بخش عن مؤسس البريلوية أحمد رضا خان ١٢٧٢هـ ـ ١٣٤٠هـ: (أدلى أحمد رضا خان بدلوه في البحوث التي أثيرت حول تعيين دار الحرب من دار الإسلام في الهند، وهداه تفكيره إلى تصنيف كتيب اسماه «إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام»، وأتبعه بآخر باسم «أحكام الإمارة والجهاد»، وثلّثهما بـ «دوام العيش في أن الأئمة من قريش»، وجميعها تدور حول عدم فرضية الجهاد على المسلمين الهنود، وأن الهند دار إسلام، ولا جهاد في دار تنسب إلى الإسلام. وبالعودة إلى الكتيب الأول نجده مقسماً إلى قسمين: قسم بيّن فيه كاتبه أن الهند المغتصبة ما زالت دار إسلام، لوجود الحرية الدينية في أداء الصلوات والصيام...، وخص القسم الأخير بتكفير من يسعى في إعادة الهند إلى أصحابها وطرد الدخلاء المسيحيين، وقال فيه: «إن (الوهابيين) مرتدون يجوز استرقاق نسائهم ولا يجوز إعطاء الأمان المؤبد لهم، ولا تؤخذ منهم الجزية ولا تحل مناكحتهم، ولا تؤكل ذبائحهم، وإن الصلاة على ميتهم حرام، وإن مخالطتهم ومجالستهم ومحادثتهم ومشاركتهم في أمورهم حرام شرعاً، قاتلهم الله أنى يؤفكون» ويحسم النقاش في دوام العيش فيعلن بملء فيه أنه «لا جهاد

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية، رسالة دكتوراة، إعداد خادم حسين إلهي بخش، ص٦٦ ـ ٦٧.

ولا قتال على مسلمي الهند في ضوء الشريعة الإسلامية»، ويرد على حركة الخلافة التي أوجدها المسلمون وسيلة للضغط على الإنجليز لحفظ الخلافة العثمانية، ورمز وحدة المسلمين: «إن التقنع بحماية الأتراك خداع محض، وإنما المقصود الحقيقي من وراء حركة الخلافة تحرير الأراضي الهندية دون شيء آخر»، وحين احتج العلماء على هذه الفتوى سافر البريلوي إلى أرض الحرمين فنزل ضيفاً على الشريف حسين بمكة ـ حرسها الله ـ الموالي للإنجليز، وبرر له الخروج على العثمانيين بعد أن كفر الأتراك وأخرجهم من دائرة الإسلام، وصنف كتاباً بهذا الصدد أسماه «حجة داحرة» وخلص فيه إلى القول: «أن الأتراك بدخولهم الحرب ضد الإنجليز خالفوا الآية ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٨٥] فيجب قتالهم والخروج عليهم بحكم القرآن واستوثق لفتواه من علماء البلاد الشرعيين ومدرسي الحرمين. وأعقب حركة الخلافة حركة المقاطعة التجارية التي استجاب لها جميع أفراد الشعب الهندي؛ وتسبب عنها الفساد والكساد في البضائع المصنعة في بريطانيا؛ ولم يجرؤ أحد على كسر هذا الطوق إلا (أحمد رضا) بفتواه «المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة» فاستفتحه بقوله: «إن المعاملة الدنيوية التي لا تضر الدين ليست ممنوعة مع أحد، سوى المرتدين مثل الوهابية والديوبندية وأمثالهم ـ ثم وصل إلى الهدف فصرح .: إن المقصود من هذه الحركة هو الحصول على الحرية من الإنجليز لا غير، وقطع الشك باليقين حين قال: «إنه لا جهاد علينا مسلمي الهند بنصوص القرآن العظيم،

ومن يقل بوجوبه فهو مخالف للمسلمين ويريد الإضرار بهم»[١].

ومثال ثالث قريب ومعاصر يبين تتبع المحتلين والمستعمرين لبلاد المسلمين للفتاوى وذلك عندما قال مفتي مصر ـ محمد سيد طنطاوي ـ في جوابه عن سؤال مراسل مجلة (المصور) المصرية؛ فقد سأله المراسل: إذاً أنت لا ترى ما يمنع من تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل؟ أجاب المفتي قائلاً: «أنا لست رجل سياسة، ولكني رجل دين ومبدئي أن أقول مرحباً بالتطبيع مع أي إنسان ما دام هذا التطبيع ليس بتطبيع العاجز؛ وإنما هو تطبيع القوي والذي يستطيع أن يأخذ حقه وأن يدفع من يعتدي عليه».

مراسل المصور: ماذا يعني التطبيع من وجهة نظركم؟ خاصة وأن مفهوم إسرائيل هو تطبيع في العلاقات الاقتصادية في الوقت الذي ما زال السلام يلقى فيه عثرات كثيرة؟!!

المفتي: مرة أخرى أنا لست رجل سياسة وأنا أضع مبادئ وهي: مرحباً بالتطبيع ما دام هذا التطبيع من مركز قوة بحيث لا يستطيع من أطبع معه أن يخدعني أو أن يستغلني ...بل إنني الذي أستطيع أن أجعل كلمتي هي العليا . أ.هـ[٢] .

فهذا الرأي يا شيخ لم يغب عن ذهن الأعداء المتربصين ولم يفت الخصوم المراقبين والعارفين بمفعول الفتوى في شد عزم المجتمع المسلم أو في تهوين الشعب المسلم وتخديره في

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية، خادم حسين إلهي بخش، ص ٣٣٩ ـ ٣٤١.

(٢) الأزهر إلى أين، د. عبد الودود شلبي، ص ٤٢ ـ ٥٢.

مواجهة مخططاته الاستعمارية العسكرية والاقتصادية.

ودليل ذلك أن صحيفة (الهيرالد تربيون) الأمريكية نشرت مقالاً تحت عنوان (هل الشيخ الطنطاوي جاهز؟!!) أي جاهز لتبرير كل ما تفعله إسرائيل ضد المسلمين والعرب، ولهذا كانت المكافأة من العدو والخصم أن دعت المفتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية إحدى الجامعات ومنحته (الدكتوراة الفخرية) وهذه الجامعة كما يقول عنها الدكتور عبد الودود شلبي: هي مركز الدراسات التنصيرية، أي الجامعة التي تؤهل المنصرين الذين يقومون بتنصير المسلمين في آسيا وإفريقيا[١][*].

(١) المرجع السابق، ص ٤٢ ـ ٥٢.

(*) هذا النمط من استغلال الخصوم للفتاوى معروف منها مثلاً ما قاله شاكر النابلسي على قناة الجزيرة في برنامج الاتجاه المعاكس [ولمن لا يعرف شاكر النابلسي فهو خصم لدود للإسلاميين لأنه يعتبر «كل رجال الدين» ـ كما ذكر في قناة الحرة ـ يعملون لمصالحهم الشخصية، ولم تفلح محاولة مذيع الحرة أن يتراجع عن تعميمه] وكان يخاطب مقدم برنامج الاتجاه المعاكس: (يجب أن نعلم جيداً يا أستاذ فيصل بأن وجود بوش الآن على رأس السلطة الأميركية ووجود الجمهوريين أيضاً بالأغلبية الساحقة في أميركا هو انتصار للقضية العراقية بالخط العريض..)، وتابع حديثه مستشهداً بكلام خصومه: (..أولاً ما يجري في العراق الآن ليس...يعني...الليبراليين الذين يقولون هذا الكلام بأن هذا ليس جهاداً وليس مقاومة ولكن رجال الدين الإسلامي هم الذين يقولون بأن المقاومة في العراق ليست جهاداً، هل سمعت ما قاله الشيخ جمال البنا الشيخ المصري، هل سمعت ما قاله أول أمس المرجعية الشيعية العليا في الكويت الشيخ محمد باقر المهدي في جريدة الرأي الكويتية؟ هل سمعت ما قاله شيخ المرجعية الدينية الكبيرة =

ومما يدل على أن الأعداء والمستعمرين متابعون ومراقبون بدقة كل فتوى تصب في صالحهم وتدعم مصلحتهم وتسهم في تخدير المجتمع المسلم وتقويضه تجاه برامجهم أنهم لما تغير موقف المفتي (محمد سيد طنطاوي) قليلاً وانحرف عن قناتهم وعَبْر بعض التعبيرات التي تخالف توجهاتهم ومراميهم في المنطقة - ولو بعد حين - قام السفير الأمريكي في القاهرة بزيارة المفتي في مكتبه بعدما صار شيخ الأزهر للتأكد من صحة هذه العبارات وصدق تلك الكلمات التي صدرت عنه؛ فبعدما تأكد من صدورها وصحتها قامت صحف في إسرائيل بإعلان أن شيخ الأزهر لا يختلف في شيء عن هتلر وموسوليني وجيوبلز!![1].

قد تقول يا شيخ إن هذه العقلية الاستعمارية انتهت من العالم بفضل نظام الأمم المتحدة، وهذا النوع من التفكير السلطوي نضب من الفكر الغربي مع المواثيق الدولية؛ وهذه النزعة الحربية العسكرية للسيطرة على ثروات الشعوب واستعباد الناس تلاشت مع التوازنات والتحالفات الدولية والمصالح الدولية العليا والسلام العالمي وحقوق المصير والإنسان؟!.

الجواب: نعم، الذي تحول وتغير ونضب وتلاشى إلى حد

= !!(....) رداً على ٢٦ فقيهاً وعالماً سعوديًا قالوا بأن ما يجري في العراق هو جهاد مشروع وقال: هذا ليس جهاداً، ولكنه دمار، ولكنه مصائب كبيرة تجر على العراق وعلى العالم العربي من بعد العراق؟).قلت (أي الباحث): بل هو من صغار طلبة العلم، وغير محسوب على العلماء في السعودية.

(١) المرجع السابق نفسه.

ما هو الأسلوب والهجوم العسكري المباشر؛ ولكن بقيت النزعة الحربية، وثبت التفكير والعقلية السلطوية والاستعمارية؛ فهذه من الثابت الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يتغير مع طول الزمن وتغير المكان؛ فقد تحول الاحتلال المباشر إلى احتلال غير مباشر بسلاح جديد اسمه (الحرب الوقائية أو الاستباقية) ـ ومثال ذلك إرسال نصف مليون جندي إلى فيتنام من أجل «أمن أمريكا القومي»[١] ـ أو الدفاع عن النفس أو عن المصالح الغربية..وأخيراً بذريعة محاربة الإرهاب وأدوات الإرهاب وتغير الاستعمار القديم إلى استعمار يواكب الحضارة السائرة في الغرب، ويتماشى مع التقدم في حقوق الإنسان؛ وذلك عن طريق تحريض دول الإسلام بعضها على بعض والتحريش فيما بينها؛ فتُستعمر الدول الإسلامية باسم الإنقاذ أو الشرعية الدولية. بل أكدت هذا المبدأ (أي مبدأ الحرب الاستباقية) وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس في مؤتمر صحفي في لندن: (طالما بقي الاستبداد، وبقيت مواقع الإرهاب؛ فإن الولايات المتحدة ملتزمة بأمنها وستمارس الاستباقية وتنتهج مبدأ الوقاية حماية لمصالحها)[٢].

ولولا أن تسمية أمريكا بـ (الشيطان الأكبر) صار شعاراً وعلامةً لكثير من عملائها في المنطقة العربية ومن هم أدواتها وعمالها في التحريش بين المسلمين وخلق الأزمات فيما بينهم وإشعال الحرائق فوق رؤوسهم لساغ لكل عاقل مراقب تسميتها بـ

(١) الأمن الذي نعيشه، حسن عبد الحي قزاز. ط٢. ١٤١١هـ، ١/ ٣٠٢.

(٢) عبد الله بشارة، مقال بعنوان «سمراء واشنطن.. وطريقك أيضاً مسدود ومسدود»، صحيفة الشرق الأوسط، ٢١/ ٥/ ١٤٢٦هـ، عدد ١١٩٦١.

(الشيطان الأكبر) لما يئس من أن يعبد في الجزيرة العربية فتحول عمله إلى التحريش بين المسلمين. فأمريكا اعتبرت بالاستعمار الأوربي واتعظت به فحولت أسلوبها وغيرت طريقتها؛ لكنها ورثت النزعة العقلية والتفكير الاستعماري؛ فنقلت ملفات الاستعمار الأوربي القديم إلى أدراجها وخزائنها. ومما يوضح ذلك ويقربه ما كتب الدكتور محمد جابر الأنصاري تحت عنوان (فكرة ارتهان المنطقة بالاحتلال العراقي للكويت بين النص البريطاني عام ١٩٦٠م والتطبيق الأمريكي عام ١٩٩٠م)، فيقول: «من المصادفات التاريخية اللافتة والمثيرة أن يأتي أوان الكشف عن الوثائق السرية البريطانية في شأن أزمة الكويت مع العراق عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١م وأزمة الكويت الحالية ١٩٩٠ ـ ١٩٩١م ملء مسمع الدنيا وبصرها. وقد اتضح من الوثائق ـ التي خرجت من السرية إلى العلن بعد انقضاء المدة المحددة قانوناً بثلاثين عاماً ـ أن حكومة هارولد ماكميلان رئيس الوزراء البريطاني السابق توقعت باحتمال قيام العراق باحتلال الكويت عسكرياً قبل الإعلان عن استقلالها، وطلبت من رؤساء الأركان في الجيش البريطاني إعداد خطة طوارئ عسكرية لمواجهة هذا الاحتمال. وأبرز ما يلاحظ أن الخطة البريطانية الأصلية في عام ١٩٦٠م ـ أي قبيل استقلال الكويت بأقل من عام واحد ـ وضعت على أساس إخراج القوات العراقية من الكويت بعد احتلالها؛ وليس لمنع حدوث ذلك الاحتلال أو مواجهته فور حدوثه. بل إن ثمة فقرة حافلة بالدلالة في الوثائق الرسمية البريطانية ـ وهي الفقرة التي لم تنل اهتمام معظم الجهات التي نقلت خبر الكشف عن تلك الوثيقة في

حينه ـ تقول بلهجة ديبلوماسية مداورة؛ ولكنها صريحة المضمون ما نصه «إن وزارة الخارجية البريطانية تشعر بأنه في ظروف معينة فإن عملية عسكرية لاستعادة الكويت من العراقيين ستكون تماماً أقل مدعاة للاعتراض سياسياً؛ حتى لو تأجلت، من محاولة إحباط التدخل العراقي قبل وقوعه»، وحتى لا تختفي أي ظلال للمعاني عبر الترجمة، نورد النص الإنكليزي الأصلي بحروفه:

«The Foreign Office Feels That,in certain Circumstances, an Operation to recapture Kuwait from the Iraqis might well be less objectionable politically, even if delayed that an attempt to forestall Iraqi Intervention»

وهذه اللهجة الدبلوماسية تعني بصريح العبارة وبلا لفّ أو دوران أنه «من الأفضل سياسياً ترك العراق يحتل الكويت أولاً؛ ثم تقوم بريطانيا بإخراجه منها فيما بعد، عوضاً عن التصدي للغزو»[(١)].

ويقول الدكتور سفر الحوالي: «... توينبي المعروف عند الناس أنه مؤرخ وعالم هذا المعروف، لكن في الواقع كان المستشار لوزارة المستعمرات البريطانية، ومن خلال ما يقرر من حقائق يستنتجها تخطط السياسة البريطانية، فلما انتهى عصر الاستعمار البريطاني نقلت الملفات والخبرة والوسائل وكل شيء إلى أمريكا و«كوبلنت» ـ أشار إلى هذا في كتاب «لعبة الأمم» أن في عام ١٩٦٨ نقلوا كل شيء إلى أمريكا ولذلك تذكرون عندما

(١) السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، محمد أبو القاسم حاج محمد، ص ٧٣ ـ ٧٥.

حدثت أحداث الخليج الأخيرة ظهرت وثائق، أظهرتها صحيفة اسمها «الحياة» كيف أن ما نفذ في عام ١٩٩٠ كان سيقع عام ١٩٦٠، لكن المنفذ ذاك اليوم كان بريطانيا، يعني العملية واحدة كل منهم ينقل ما عند الآخر ويأخذ دراسته ويفيد منها ثم يضيف إليها ما حصل. أيضاً: تخلي الإنجليز عن مصر وعن القناة وعن العرب واليهود، ورثته أمريكا بنفس الدور البريطاني، فالآن المفاوضات هذه حول السلام تشرف عليها أمريكا، من كان يشرف عليها من قبل؟ بريطانيا. نفس الشيء مؤتمرات كانت في لندن والإشراف عليها بريطاني؛ فالعملية واحدة يعني الكل يستفيدون من خبرة من سبقهم وبعضهم يحيل إلى بعض، والجميع يشعر أنهم كيان واحد وأن العدو الذي يهدده واحد وهو هذا الدين»[١].

ويقول جان بيير شوفينمان (وزير الدفاع الفرنسي في أثناء حرب الخليج): «منذ مطلع آب، كانت دوائر المخابرات الفرنسية تتبنى الفرضية التي تقول: إن الولايات المتحدة قررت فتح الدملة المسماة صدام حسين، بسبب الخطر الذي يمثله النظام العراقي بالنسبة للاستقرار في الشرق الأوسط، وضمان سوق البترول، وأمن إسرائيل»[٢][*].

(١) المسلمون ودراسات المستقبل، سفر الحوالي، ١٩٩٥م، ص ٢٦.

(٢) حرب الخليج... دفعتني للاستقالة، جان بيير شوفينمان، ترجمة: أحمد عبد الكريم، ط١: ١٤١١/ ١٩٩٢ ـ دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٧

(*) يقول شيفنمان في كتابه أيضاً: مدام غلاسبي قالت لصدام ما يلي: «ليس لنا رأي حول الصراعات بين العرب كما هو شأن خلافكم على

بالنسبة للسعودية فتحريش الآخرين وتحريضهم على زعزعة الاستقرار فيها وخلخلة سيادتها على مناطقها قديم متجدد تحت ذرائع سياسية واقتصادية وتاريخية؛ وقد تجتمع هذه كلها وبدعوى حماية مصالح حلفاء الغرب وحماية حقوق الإنسان؛ فمن أمثلة ذلك ما ذكره صلاح الدين المختار، فيقول: (ذلك أن الانتصار الباهر الذي تحقق للملك عبد العزيز في معركة تربة الكبرى ضد أكبر قوة عسكرية في الجزيرة العربية، كان يحسب لها حسابها، قد أطلق يده في الشمال والجنوب، وزاد هيبته، وضاعف نفوذه، وشجعه على التحرك لتصفية حسابه مع إمارة حائل. والجدير بالذكر في هذا السياق أن إمارة حائل تحولت منذ عام ١٣٣٩هـ/ مارس١٩٢١م إلى هدف إستراتيجي بريطاني، إذ قرر خبراء السياسة البريطانيون خلال مؤتمر عقدوه ذلك الشهر في القاهرة برئاسة ونستون تشرشل، وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية آنذاك، تقسيم الحصة البريطانية من الممالك العثمانية بين الشريف حسين وأبنائه، وتطويق الملك عبد العزيز في وسط الجزيرة العربية، وتقرر دعم ابن رشيد في إمارة حائل ليكون حاجزاً بين سلطنة نجد والعراق من جهة، وبينها وبين شرقي الأردن من جهة أخرى..)[١].

الأراضي مع الكويت»، وأضاف فيما بعد قائلاً: «مدام غلاسبي اعترفت بأن الدبلوماسية الأمريكية كانت تأمل قبل الأزمة أن تربي الرئيس العراقي!!..». (انظر ص١١٤).

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢/ ٢٣٠. بواسطة كتاب تاريخ الملك سعود بن عبد العزيز ١٣١٩ ـ ١٣٨٩هـ، للدكتور سلمان بن سعود بن عبد العزيز، ١/ ٥٤.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره التاريخ المعاصر أن الأمير الحسن الإدريسي كان لاجئاً في صنعاء؛ فقام بتحريض من الإيطاليين وبحماية بارجة إيطالية باحتلال جيزان في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٢م، مدعوماً بفريق من المعارضين لحكم الملك عبد العزيز، وكانت الخطة تقضي بأن تدخل قوات الإدريسي إلى جيزان في حماية الإمام يحيى. وظلت القوات الإدريسية في جيزان ونجران بين تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٩ وشباط/فبراير ١٩٣٣م حتى دخول الجيش اليمني الحرب وهزيمته مع الأدارسة أمام القوات السعودية وفرار الإدريسي وصحبه إلى اليمن[١] .

وصورة أخرى من التحريش والتحريض؛ يقول الأستاذ عبد الله عبد الجبار: «قام بين الإنجليز والسعودية نزاع حاد حول واحة» البريمي «الواقعة على حدود مشيخة (أبو ظبي)؛ وقد كانت منذ القديم خاضعة لسلطان السعوديين؛ فأخذ الإنجليز ينازعونهم عليها ويدعون أنها تابعة لإمارة (أبو ظبي)، وأن من واجبهم الدفاع عن (مصالح أصدقائهم) ضد المطامع السعودية الإقليمية. والواقع أن خبراءهم قد شموا رائحة البترول فيها ـ مع أنهم عقدوا اتفاقاً مع المملكة السعودية على التحكيم في النزاع ـ فإنهم ما لبثوا أن خلقوا أسباباً واهية ونكثوا عهدهم وانسحبوا من التحكيم ثم خطوا خطوة باغية في خريف عام ١٩٥٥م فاحتلوا الواحة وقتلوا وجرحوا وأسروا أفراد المخفر السعودي فيها وزعموا أنهم فعلوا هذا بالنيابة عن سلطان مسقط وشيخ (أبوظبي) اللذين طلبا

(١) رياح الجنوب، رياض الريس، ص ١٣٥.

منهم المساعدة على بسط سلطانهم على واحتهما وتخليصها من العدوان السعودي وأمروا سلطان مسقط فأصدر بياناً رسمياً بذلك»[١]. يلاحظ في تلك الحوادث التاريخية المتعاقبة ما يلي:

ـ عدم وجود شيء اسمه «مواثيق وعهود» في عقلية الغربي وذهن الأجنبي، وهذه الحوادث هي التي جعلت الملك عبد العزيز يقول مرة عن بعض الدول الغربية: «إنهم يقولون وينقضون قولهم»[٢].

ـ مطالبتهم بنزع سيادة المملكة على بعض مناطقها تحت ذريعة الدفاع عن مصالح دول أخرى؛ وحقيقة الأمر أنهم يبغون مصلحتهم الاقتصادية المتمثلة في النفط.

ـ التحدث باسم الآخرين والتحريض بين الدول المتجاورة المتجانسة والمتآلفة فيما بينها إلى حد ما؛ والتي ربما تكون في حقيقة الأمر غير راضية و مستاءة من هذا التدخل في شؤونها وعلاقتها بدول الجوار.

وقد نقل وحيد الدالي مدير مكتب أمين عام الجامعة العربية عن عبد الرحمن عزام مثل هذا التحريض والتحريش حيث قال:

«ولما قامت حرب اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ ظن بعض المسؤولين المصريين أن هذه الحرب سوف تنتهي خلال أسابيع،

(١) كتاب التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار، ص ٢٥.

(٢) رحلات عبد الوهاب عزام، مطبعة الرسالة، ١٣٧٠ ـ ١٩٥١م، ص٢١٨.

وأعلنوا أن مهمة الجيش المصري في اليمن هي مهمة حضارية، وكنت وقتئذ في بيروت لحضور بعض المؤتمرات ممثلاً للجامعة العربية، وفي حديث طويل بين عزام باشا وبيني قال: (إن هذه الحرب ستطول ولن يستطيع الجيش المصري الاستيلاء على كل اليمن بسهولة، وذلك لطبيعة أرض اليمن الجبلية وظروف اليمن القبلية وهناك تجربة تركيا في اليمن فقد ظل الجيش التركي يحارب اليمن مدة سبع سنوات ولم يستطع إلا الاستيلاء على الساحل وميناء الحديدة فقط..وإذا كانت مهمة الجيش المصري في اليمن هي مهمة حضارية كما يقول المسؤولون في مصر فإن المهام الحضارية يمكن تنفيذها بالسياسة وليست بالحرب، لأن الحرب تدمر ولا تبني وإذا كان نشر الحضارة هي بناء المدارس والمستشفيات والمؤسسات وتعليم الشعب.. إلخ فيمكن حقناً للدماء التفاهم مع الإمام البدر وهو يحب مصر ومستعد للتعاون معها بأي شكل تعرضه عليه..وأنا في استطاعتي ـ لو أراد المسؤولون في مصر ـ أن أرسل إليهم لتنفيذ كل خططهم وبرامجهم سلمياً وبلا إراقة دماء الجانبين اليمني والمصري). ولقد نقلت هذا الرأي إلى المرحوم يحيى سامي الوزير المفوض بوزارة الخارجية المصرية وقتئذ ـ رحمه الله ـ وطلبت منه أن ينقله إلى الرئيس عبد الناصر؛ حيث كان تربطه به صلة نسب وهو كثير الالتقاء به في منزله، وأخبرته بأن عزام أخبرني بأنه يستطيع التوسط لحل جميع المشاكل بين مصر واليمن بالوفاق بدلاً من الحرب التي لا يعلم نتيجتها إلا الله، ولقد اهتم الصديق يحيى سامي بهذا العرض ووعد بإبلاغه إلى الرئيس عبد الناصر؛ وبعد

ثلاثة أسابيع زارني المرحوم يحيى سامي في مكتبي بالأمانة العامة للجامعة العربية وكنت وقتئذ مديراً للإدارة السياسية، وأخبرني بأنه أبلغ عبد الناصر ما سبق إبلاغه عن لسان عزام باشا وقال إن الرئيس عبد الناصر أظهر اهتماماً شديداً وقال: «سوف أسأل عبد الحكيم عامر».. وبعد أيام فتح عبد الناصر الموضوع مع يحيى سامي مرة أخرى وقال: «إن عبد الحكيم عامر يقول: إن الحرب اليمنية سوف تنتهي خلال أسابيع على الأكثر أما عن وساطة عزام فقال: إنه لا يثق بعزام لأنه رجل أمريكاني.. كذا!!!». ولما أخبرت عزام بما قاله عبد الحكيم عامر لجمال عبد الناصر في موضوع اليمن قال عزام: «لقد اتضحت الخطة الآن وسوف أخبرك بها كما وقفت عنها من بعض المصادر الموثوقة، وأضاف أنها لعبة خطيرة لن تنجح ولكن هي محاولة لتشتيت جهود الأمة العربية والإيقاع بين مصر والسعودية وربما تكون هذه اللعبة قد نسجت خيوطها المخابرات الأمريكية والروسية كل بطريقته للإيقاع بمصر كمقدمة للوصول إلى منابع البترول السعودي. وقال: (لقد علمت أنه عقد شبه تفاهم بين مسؤولين مصريين ومسؤولين أمريكيين على أن الإدارة الأمريكية مستعدة للتغاضي عن استيلاء القوات المصرية على منابع البترول السعودي بعد انتهاء حملة اليمن بشرط أن تعقد مصر صلحاً مع إسرائيل وأن يستمر تصدير البترول السعودي إلى أمريكا ودول الغرب؛ لأن الولايات المتحدة تفضل أن يكون بترول السعودية مسؤولية رجل قوي في المنطقة كجمال عبد الناصر؛ ولذلك فإن المسؤولين المصريين تحمسوا لحرب اليمن ودبروا في نطاق هذه الخطة الوصول إلى منابع

البترول السعودي عن طريق اليمن)»[(١)][(*)].

وللعلم شهادة عزام تعد شهادة ضليع وخبير، وفي الوقت نفسه صادق وناصح، وهذا التحليل لهجوم عبد الناصر على اليمن بإيعاز أمريكي هو الذي جعل الملك فيصل يغير من سياسة المملكة تجاه الانقلابات في الدول، في كونها شؤوناً داخلية. يقول جميل الحجيلان: «وكان في وسع المملكة أن ترى في الانقلاب العسكري الذي حدث في صنعاء ـ كما رأت في غيره من الانقلابات ـ شأناً داخلياً لا علاقة لها به لو أن الظروف التي سبقت وأعقبت ذلك الانقلاب جعلت منه حدثاً لا يستدعي من المملكة إلا نظرة حذرة، ومتابعة لآثاره على الصعيدين السياسي والعسكري داخل اليمن وخارجه. إلا إن مسارعة القاهرة، ولمّا تمضي على قيام الانقلاب عدة ساعات، إلى احتضانه والاعتراف به وإعلان مساندتها العسكرية له قد أثار كثيراً من مشاعر الاستغراب، والتساؤلات عن دواعي هذا الموقف المتعجل الذي لم تألفه أحداث دولية مماثلة!! وقبل أن تعرف القاهرة هوية

(١) أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام، وحيد الدالي، ص ٧٩ ـ ٨٠.

(*) يؤكد هذا الكلام ما ذكره د.معروف الدواليبي في لقائه الملك فيصل: «قلت له: يا جلالة الملك، كنت بعثت إليكم في سنة ١٩٦٣ مع سفيركم عبد الرحمن الحميدي مبيناً المؤامرات التي تحاك حولكم. وقصصت عليه حديثي مع السفير الروسي ورد خروشوف..وفيه (أنا لا أثق بعبد الناصر، أنا أثق بحيادك، أنت خائف على دولة الإيمان من دولة الإلحاد. أخبرك أن أمريكا اتفقت مع عبد الناصر أن يحتل اليمن والسعودية والأردن وسورية ولبنان..)». انظر معروف الدواليبي، مذكرات، ص١٩٥.

مدبري الانقلاب، وخلفيتهم السياسية، واتجاهاتهم وما إلى ذلك من ضوابط التقويم السياسي الجاد لحدث مهم مثل الانقلاب في صنعاء[(١)].

ومن الأمثلة على التحريض ما ذكره سعد البزاز في كتابه (رماد الحروب): «كانت هناك حيرة في تفسير سبب لجوء العراق إلى إطلاق وصف (بلاد نجد والحجاز) على المملكة العربية السعودية بعد أيام قليلة من الدخول إلى الكويت ثم عودته عن هذا الوصف بعد حرب الخليج مباشرة عندما أصدرت القيادة العراقية تعليمات محددة إلى وسائل الإعلام الرسمية بالتوقف عن ما درجت على استخدامه من أوصاف خلال أشهر الأزمة الستة..»، ويمضي البزاز إلى القول: «كان هناك مصدر خارجي واحد على الأقل قد مرر إلى بغداد مشروعاً يُفترض أنه كان يشغل بعض الأوساط الغربية ويقوم على فكرة «احتواء مراكز الأقطاب الإسلامية سواء كانت محافظة أو متطرفة» وعلى قاعدة الفصل بين (الإسلام والنفط)..»، ثم يقول: «ولكي يتم ذلك فإن مراجعة للولاية السياسية على الجزيرة العربية ستكون مطروحة وقابلة للتداول إذا ما حصلت هزة كبيرة في المنطقة، وها هي الهزة قد وقعت بعد الثاني من آب ١٩٩٠، ويذكر تقرير دولي وصل أكثر من دولة عربية ومنها العراق «أن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن تضع في الاعتبار خيار إعادة تقسيم المنطقة إلى

(١) جميل الحجيلان، محاضرة بعنوان «الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي»، بتاريخ ٢٧/١٢/١٤١٦، ص١٦.

أشكال وحجوم جديدة..»[(١)].

قد تقول: أنا استبعد أن يكون هناك عمل عسكري أو استخدام القوة في نزع السيادة على هذه المنطقة؛ فالأمر ليس بهذه البساطة، وليس بهذه السهولة؛ وأخشى أن يكون هذا من المبالغة في الخيال، ومن الإفراط في التفسير التآمري؟

نزع السيادة قد يكون بالعمل العسكري وقد يكون بعمل آخر وله أساليب وطرق أخرى وقد نجح بعضها وفشل الآخر؛ فالمهم أن لا نسهم في إنجاح هذه المشاريع وندعم تلك الأفكار. أما أن يكون هذا من الخيال أو من في القول بـ «المؤامرة»، فالذي أعرفه أنه لا خيال في السياسة العسكرية الغربية، فالخيال يتحول إلى واقع في يوم ما قياساً على قول علماء النفس: «إنه ليس هناك شيء اسمه» زلة لسان «بل هي حقيقة مكنونة». ومن شواهد هذا الأمر ومن الخيالات التي تحولت إلى واقع وصارت حقائق على الأرض يقول الكاتب سمير عطا الله: «وقبل بضع سنوات كنت هنا في الكويت عندما قرأت في «الرأي العام» مقابلة مع السفير الأمريكي الأسبق غنيم وهو ألماني الأصل وليس عربي الأصول كما يوحي الاسم، وفي تلك المقابلة يقول السفير على ما ذكر بوضوح: أيها الكويتيون استعدوا، فغداً عندما يسقط نظام صدام حسين سوف تتحول الكويت إلى ورشة مزدهرة تصدر إلى العراق كل شيء؛ وكتبت يومها معلقاً أن من الأنسب لصاحب السعادة السفير أن يهتم بنفسه وأن يكون أكثر تأدباً؛ فالكويتيون لا

(١) رماد الحروب، مرجع سابق، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

يرون في سقوط نظام صدام حسين مجرد ضرب تجاري، وقلت في نفسي إن السفير يحلم، لأن نظام صدام حسين لا يسقطه شيء ولا أحد، وأنه لو كان الأميركيون يريدون حقاً إسقاطه فلماذا لم يفعلوا ذلك عندما دخلوا العراق وتركوا جنرالات صدام يوقعون وثائق الاستسلام؟»[(١)].

ومن الشواهد كذلك التي جوبهت من قبل فوصفت بأنها من الخيال من كثير من المثقفين والكتاب والصحفيين ووصمت بأنها من المبالغة في نظرية المؤامرة، ثم تحولت إلى واقع؛ يقول الدكتور نجم عبد الكريم: «...عام ١٩٨٢ أنتجت هوليود فيلماً بعنوان: الدفاع الأفضل (The Best Defence) وكان موضوعه أن العراق يقوم بغزو بلد خليجي مجاور له، وكان ذلك الغزو يهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية مما دفعها إلى أن تحشد قطاعاتها العسكرية المختلفة والمنتشرة في المنطقة حيث نشبت الحرب التي انتصرت فيها أميركا بعد أن دحرت الغزاة وطردتهم من ذلك البلد الخليجي؛ وكان طابع الفيلم كوميديا ساخراً. ولست هنا في مجال الدخول بتفاصيل معالجة الحبكة الدرامية التي صورها كاتب سيناريو حوادث ذلك الفيلم خاصة أن من قام بالبطولة فيه هو الممثل الزنجي الشهير (إيدي ميرفي) وكان في ذلك الوقت يحتل مكانة متقدمة في عالم الكوميديا بالإضافة إلى أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) بالتعاون مع وكالة

---

(١) من مقال الكاتب سمير عطا الله، جريدة الشرق الأوسط، ٢٣صفر ١٤٢٥هـ.

الاستخبارات المركزية CIA تخصص ميزانية سنوية لإنتاج مجموعة من الأفلام تهدف من ورائها إلى شيوع ما تريد ترسيخه في الأذهان. فليس ذلك ما أهدف إليه من هذا الاستهلال؛ وإنما أن الكويت قد تم غزوها فعلاً من قبل النظام العراقي بعد عقد من الزمان مر على مشاهدتي لهذا الفيلم مما حفزني على أن أكتب مقالاً أقارن فيه بين واقع الفيلم المبني على الخيال ومدى تطابقه مع الأحداث التي صورها والاحتلال الحقيقي للكويت، حيث تكاد الحوادث في خطوطها العامة تتجاوز الـ ٩٠٪ التي اشتمل عليها سيناريو الفيلم. وما إن ظهر المقال وإذا بأصابع الاتهام توجه لي من قبل نخبة (الواقعيين) و(البراجماتيين) ومن لا يرون لأمريكا سوى الوجه الجميل!! هؤلاء وسواهم اعتبروني من المروجين لنظرية (المؤامرة). وللحق أقول إن ذلك الاتهام قد جرح مشاعري لكنني لم أكن أملك خياراً غير السكوت رغم إيماني المطلق أن هناك علاقة ما بين أحداث الفيلم وغزو العراق. أما في ما أنا بصدده الآن فلا أجدني أتحرج من أن توجه لي تهمة الإيمان بنظرية المؤامرة التي كثيراً ما يرفعها البعض في وجه من يحاولون استقراء الأحداث التي تجري في العراق!! لسبب بسيط وهو: أنني قد اطلعت على وثائق صادرة عن مؤسسات أميركية ـ وهي مؤسسات رسمية ـ وكلها تؤكد أن ما حدث ويحدث في العراق الآن كان مخططاً له وأنه ليس وليد الخلافات التي دبت ما بين صدام حسين وبين من مكّنوه في بسط نفوذه على العراق، أقصد الأمريكان أنفسهم. فالعراق كان هدفاً للإدارات الأمريكية المتعاقبة، وهذا ما تؤكده تلك الوثائق التي تسمح

الإدارة الأمريكية بالكشف عنها بعد مرور سنوات محددة من حفظها»[١].

وقد تسأل يا شيخ عن هذه الأساليب والطرق التي تحل محل الاحتلال العسكري في نزع السيادة على هذه المنطقة وخلخلتها؟

نقول: مثال هذه الأساليب والطرق التي تخلق لها الذرائع لكي تنفذ وتمرر، كالتذرع بما يسمى بـ (حق تقرير المصير) و(الحيادية) و(حقوق الإنسان) أو الحقوق التاريخية أو بما هو أكثر خطورة مما جُرّب فأنتج ما سُمّي بـ (الامتيازات الأجنبية)، وجميعها أغطية وأقبية لمشاريع خلخلة وهزّ للسيادة، وللعلم فقد تعرضت بعض مناطق المملكة ومنها (المنطقة الشرقية) بالذات لمثل هذه الذرائع.

ومن الأفضل أن نذكر مثالاً على هذه الذرائع والأفكار والمحاولات؛ فمن ذلك ما يسمى بـ (الامتيازات الأجنبية) ومن حسن حظ المراقب والناظر إلى مستقبل المنطقة من خلال تاريخها أن للملك عبد العزيز موحد (الجزيرة العربية) موقفاً حازماً من الامتيازات الأجنبية وأبعادها؛ لأنه فهم منها ومن خلالها خلخلة سيادته على مناطقه ونفوذه وأراضي مملكته من قِبل الدول الغربية، وبالذات بريطانيا فقد كان هذا الموقف منه رحمه الله قائماً ومعتمداً ومتسلحاً بحديث «لا يجتمع في الجزيرة العربية دينان»، وكان التفاوض على أساس حديث «أخرجوا اليهود والنصارى من

(١) مقال د. نجم عبد الكريم، صحيفة الشرق الأوسط، ١/١/ ٢٠٠٥م.

جزيرة العرب» وذلك عن طريق الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد ـ رحمه الله ـ يقول سعد العفنان وعبد العزيز بن بليهد «... وبما أن هذه الأفكار ـ السيادة على الحجاز ـ وجدت قبل دخول الملك عبد العزيز للحجاز فإن الملك عبد العزيز لكي يسقط هذه الأفكار ويتجاوزها فلابد له من الدعوة للمؤتمر وعقده وسماع ما لدى الأطراف المختلفة والرد عليها، وكان واضحاً أن تلك الأفكار هي من إملاءات الإنجليز وهي على أي حال ليست لصالح الحجازيين ولا لصالح الإسلام؛ بل هي لصالح الإمبريالية البريطانية التي تعمل على تكريس هيمنتها على العالم الإسلامي، كان المغفور له الملك عبد العزيز على يقين تام من حقيقة المخطط الإمبريالي البريطاني الذي يحاك عن طريق عقد هذا المؤتمر للبحث في الشؤون السياسية في الحجاز وبما أن هذا غير مقبول ولا منطقي إذاً فليعقد المؤتمر ولكن ليس للبحث في الشؤون السياسية للحجاز وإنما للبحث في الشؤون الفقهية مع استبعاد أي شأن سياسي.

إذاً لا بد من التعاطي مع قضية عقد المؤتمر بأسلوب سياسي احتوائي بعيد عن التصادمية، وكان للملك عبد العزيز رصيده الكبير في سياسة الاحتواء على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ فكان من الميسور عليه رحمه الله تعالى إجهاض أي طرح سياسي وبالتالي إفراغ قرارات المؤتمر من أي مضامين سياسية وحصر المباحثات والقرارات التي يمكن أن تصدر عنها في الأمور الفقهية التي لا تمس سيادته واستقلال بلاده؛ ولذلك نجد أن المؤتمر يعقد في جدة والملك عبد العزيز يفتتحه بنفسه

فيؤكد في كلمته الافتتاحية على أن الاستقرار والأمن راسخان في الحجاز بشكل لا مثيل له في أرقى الدول ويطلب من العالم الإسلامي التعاون مع حكومته في هذا السبيل. ولما كان المندوبون كلهم إما رؤساء جمعيات إسلامية أو سياسية من الدرجة الثانية فقد انتدب الملك عبد العزيز فضيلة الشيخ عبد الله آل بليهد ليمثله في ذلك المؤتمر تحت مسمى «رئيس الوفد النجدي» حسب بطاقة عضوية المؤتمر، وقد استمرت جلسات المؤتمر ومباحثاته على مدى شهر كامل عقد ثمانية عشر جلسة دون التوصل إلى نتائج ملموسة أو توافق آراء لأن أحد الوفود تمادى في مماحكاته خاصة محمد علي وأخاه شوكت علي رئيس جمعية الخلافة في الهند الذي أصر على طرح قضايا لها علاقة في الشؤون السياسية في الحجاز؛ فقد طالب بإعادة بناء القباب والزخارف على القبور التي هدمت؛ الأمر الذي جعل الملك عبد العزيز يصدر بياناً يؤكد فيه أنه لا يقبل أي امتيازات لأحد دون أحد، بل جميع الوافدين لهذه البلاد ينبغي أن يخضعوا للشريعة الإسلامية»(١)، ويقولان أيضاً (*): «إن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله آل بليهد تقدما باقتراح أن يتخذ المؤتمر قراراً على أن يجتمع جميع أعضاء المؤتمر أمام الكعبة ويتعاهدوا في اليوم السابع أو الثامن من ذي الحجة صباحاً بأنهم سيسعون بكل قواهم لتخليص جزيرة العرب من نفوذ الأجانب، ويقول حافظ وهبة:

(١) أعلام من علماء حائل: الشيخ عبد الله آل بليهد، سعد العفنان، عبد العزيز البليهد، ص١١٠ ـ ١١٢.

(*) أي سعد العفنان و عبد العزيز البليهد.

فطلبت من الشيخ ابن بليهد الإيضاح عن المقصود بجزيرة العرب فقال: المراد منها: فلسطين ـ سوريا ـ العراق ـ سواحل الجزيرة العربية التي للأجانب نفوذ فيها»[١]، ثم يقولان عن المؤتمر: «لقد استغرق المؤتمر شهراً كاملاً من ٢٦ ذي القعدة إلى ٢٤ ذي الحجة من عام ١٣٤٤هـ عقد خلاله ثمانية عشر جلسة ولا شك أن معظم هذا الوقت قد استنفد في مماحكات الوفد الهندي في محاولة أن يكون له منشب ظفر في الشؤون الحجازية يطلع منه بعذر أمام أسياده الإنجليز، فالذي تحقق لدينا من استفاضة روايات شهود الحال ومعاصريهم هو أن فضيلة الشيخ عبد الله آل بليهد كان الصخرة التي تحطمت عليها كل المحاولات المريبة لهذا الوفد ومن لفّ لفّه من الوفود الأخرى، فأمام مطالباته التدخل في شؤون الحجاز السياسية قابله الشيخ بالمطالبة بتحرير الأجزاء الأخرى من جزيرة العرب التي لبريطانيا نفوذ فيها مثل العراق وفلسطين وسواحل الجزيرة العربية)[٢].

فانظر، أيها الشيخ، كيف استطاع الملك عبد العزيز من خلال الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد أن يحافظ على سيادته ويرد أطماع الدول الغربية؛ وذلك بالتسلح بحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»، وحديث «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»، وقد كان هذان الحديثان أيضاً منطلقاً سياسياً وسيادياً لدى الملك سعود بن عبد العزيز في مواجهة أي نفوذ

(١) أعلام من علماء حائل: الشيخ عبد الله آل بليهد، سعد العفنان، عبد العزيز البليهد، ص١١٧ ـ ١١٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١١٨ ـ ١١٩.

أجنبي وعدو غاشم على جيران الدولة السعودية فضلاً عن الدولة السعودية ذاتها؛ فقد قال في إحدى خطبه في الحج: «...إخواني المسلمين؛ في هذا المشعر الحرام دعونا نتجه في يومنا هذا ومن مكاننا هذا إلى الله تعالى، نتجه إليه بقلوبنا وبأسماعنا وبأبصارنا وبخوالج أفئدتنا بالدعاء إلى الله بأن يجمع على الخير قلوبنا، وعلى البر والتقوى عزائمنا..وأن يرعى برعايته ويكلأ بعنايته إخواننا الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم ومن أوطانهم بغير حق...وأن يؤيد بنصره إخواننا المجاهدين في عمان والجنوب العربي، حتى تتحرر جزيرتنا من الغاصبين والمحتلين، وأن ينصر الله بنصره إخواننا المجاهدين في الجزائر المدافعين عن بيضة الإسلام..وعن عقيدة التوحيد. اللّهُمَّ إنهم عصابتك الموحدة...ويذودون عن عقيدتهم بأرواحهم، ويموتون شهداء على كل شبر من أديم أرضهم»(١).

ويقول الملك أيضاً في خطاب وجهه إلى رؤساء وزعماء العالم الإسلامي في مكة بتاريخ (٨/ ١٢/ ١٣٧٦هـ):

«أيها الإخوة في الإسلام،

لقد ألف الإسلام بيننا، ولا يجوز أن ندع لوساوس المستعمرين ودسائس المفرِّقين... سبيلاً إلى قلوبنا»، إلى أن يقول: «كما أننا لا نرضى أن يعتدي علينا أحد، وسياستنا قائمة على الحياد الإيجابي، وعدم الدخول في الأحلاف الأجنبية مهما يكن شكلها، وهدفنا رفع كابوس الاستعمار عن كل بلد عربي

(١) مختارات من الخطب الملكية، ص ٢٦٠.

إسلامي»، ويضيف رحمه الله أيضاً: «...وفي جنوب الجزيرة يتابع البغي جرائمه، وتتحد جهودنا مع جهود إخواننا في جامعة الدول العربية وسواها لكفِّ الأذى ودفع الضرِّ عن بلد هو منا ونحن منه..»[١].

وتعرف، يا شيخ، أن هذا الحديث كان له دور كبير في منع الكنائس والمعابد؛ لهذا لما تساهلت الدول المجاورة بالتمسك بهذا النص وخارت همم حكامها وعلمائها عن تطبيقه فرضت عليهم من الدول الغربية بما يعرف بـ (الامتيازات الأجنبية) التي كان من ضمنها بناء الكنائس والمعابد؛ وقد ذكرت مجلة المجتمع (الكويتية) عن أول كنيسة شيدت في جزيرة العرب حيث قالت: (في عهد الاستقلال بالذات، أذن للكاثوليك النصارى ببناء أول كنيسة لأول مرة في تاريخ الكويت، بل في تاريخ الخليج العربي، بل في تاريخ الجزيرة العربية، وتم كل ذلك بصمت وهدوء لأن المسلمين نائمون...)[٢]، يستفاد من هذا أثر ونتيجة؛ أن العلماء لم يُحصّنوا الرأي الشعبي، وأن دورهم وقتئذ وتعبئتهم للجمهور تجاه هذا الأمر كان ضعيفاً.

بل نقول يا شيخ: إن لهذا النص وما حوى من أحكام ومبادئ، دوراً أبعد في منع ما هو أقل من الشرك وما يناقض

---

(١) د. سلمان بن سعود بن عبد العزيز، تاريخ الملك سعود بن عبد العزيز ١٣١٩ ـ ١٣٨٩هـ، دار الساقي، ١/ ٦٠٤.

(٢) موقف الإسلام من بناء الكنائس في بلاد المسلمين ويليها احتفال المسلمين بالأعياد النصرانية، أحمد بن عبد العزيز الحصين، ص٢٣.

عقيدة التوحيد من كنائس ومعابد؛ كمنع بناء دور القمار. يذكر صاحب كتاب (مصاحف وسيوف) حكاية كازينو القمار في رأس الخيمة فيقول: «... الكازينو الجديد بنته وأدارته شركة أبيلا اللبنانية، يطل على القادمين من مدخل المدينة وهو كازينو القمار الوحيد الذي كان مصرَّحاً به في كل الجزيرة العربية، وقد أغلق أبوابه فيما بعد بطلب من السعودية وثمناً لاستمرار مساعداتها»[(١)].

قد تطرح سؤالاً يقول: هل قامت الامتيازات الأجنبية كبناء الكنائس وبناء دور الملاهي والخمارات والقمار والتحول عن الشريعة في الدول الإسلامية بالفعل على آراء فقهية وفتاوى ومباركة المشيخة الشرعية؟

نقول: نعم، والأمثلة على ذلك كثيرة، نورد بعضها لعلها تكون عظة للمفتين، وعبرة للغيورين على الشريعة والأخلاق الإسلامية الصحيحة؛ فمن ذلك ما يقوله الأستاذ عبد القادر عودة ـ رحمه الله ـ تعليقاً على رأي أبي حنيفة: «هذه هي نظرية أبي حنيفة في سريان الشريعة الإسلامية على المكان، وقد كان لرأيه في عدم سريان الشريعة على المستأمن أثر سيِّىء على البلاد الإسلامية؛ لأن رأيه اتخذ أساساً وسنداً في منح الامتيازات الأجنبية للمستأمنين أي من نسميهم اليوم بالأجانب، وكلنا يعلم مدى ما قاسته البلاد الإسلامية، وما تزال تقاسيه من آثار هذه الامتيازات التي مُنحت للأجانب، وقت ضعفهم وقوة المسلمين

(١) مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية، رياض الريس، ص ٣٦٨.

لتشجيع الأجانب على دخول دار الإسلام، وتؤمنهم على أنفسهم وعلى أموالهم، فأصبحت بعد ضعف المسلمين سبباً لاستغلال المسلمين وتضييع حقوقهم واستعلاء الأجانب عليهم»[(١)].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ وهو من الأحناف ـ رداً على رأي أبي حنيفة: «هذا نظر أبي حنيفة، وتلك وجهته، ومهما يكن لها من بيان عقلي أو منطقي فهي من الناحية العملية غير سليمة، وذلك كما قررنا من قبل أن هذه الحدود شرعت لدفع الفساد في الأرض، وأن من يدخل ديار الإسلام يلتزم بدفع الفساد، وإنه لغريب كل الغرابة أن يقتل ويسرق ويزني ولا يعاقب!! ولكن يظهر أن أبا حنيفة انساق وراء نزعته في الحرية الدينية التي يقررها لغير المسلمين، ووراء ما أسماه السيادة الحكمية والفعلية للدولة. وقد طبقت الدولة العثمانية رأي أبي حنيفة؛ فنشأ ما سُمي بالامتيازات الأجنبية، فكانت غِلاًّ في عنق هذه الدولة ثم في أعناق الأقاليم التي كانت تابعة لها، حتى أنقذها الله تعالى منها»[(٢)].

ـ قد تقول هل لهذه الدول الغربية بالفعل بُعْدٌ ديني في مطالبتها بالامتيازات الأجنبية، وتقصد من وراء ذلك نشر التنصير ومحاربة الدين؟

ـ نقول: إن خفاء هذه النوايا أو المقاصد علي أو عليك لا

(١) كتاب الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام، محمد عطية خميس، ص ٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٠.

يدل على عدمها، وعدم وضوحها لا يلزم منه عدم وجودها؛ فوجودها وثبوتها أمر حتمي قطعي يجب على كل مسلم الإيمان به واليقين به بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ [النساء: ١٠٢].

فهذه الآيات تدل على أن الأصل في اليهود والنصارى الكيد للإسلام والمسلمين، ومحاربتهم، والتربص بدولهم، والكيد لمجتمعاتهم، ومن أساليبهم الموصلة لهذه الغايات (الامتيازات الأجنبية) بجميع أشكالها؛ وحتى لا نبتعد عن (الجزيرة العربية) مكاناً وحتى لا نوغل في التاريخ الماضي زماناً نأخذ معاناة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ موحد الجزء الأكبر من الجزيرة العربية مع مثل هذه النوايا والمآرب، وما كانت تلك الدول النصرانية تفكر فيه، وأي همٍّ تحمله تجاه سياسة الملك عبد العزيز إزاء (الامتيازات الأجنبية)، فمن ذلك محاولات مفوض بريطانيا لدى الملك عبد العزيز عقد معاهدات وأهمها قضية الاستمرار في الامتيازات البريطانية في الحجاز، ومما يبين أن هذه الامتيازات التي تسعى إليها بريطانيا عن طريق مفوضها إلى استمرارها حتى تسهم في زعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم الصميم وتخلخل الوحدة الفكرية، والمذهب الواحد الذي عن طريقه سادت الدولة وقام الاستقرار في الجزيرة العربية؛ فالوحدة العقدية

والفكرية هي أساس الوحدة الجغرافية والسياسية ووحدة السيادة؛ فقد طالبت بريطانيا عن طريق مفوضها (جوردن) الدفاع عن أحد رعاياها ـ هندي الأصل ـ يدعى (أحمد سليمان) الذي أدانه الملك عبد العزيز بسبب كتابته مقالات يهاجم فيها (الوهابيين)، فحاول (جوردن) تذكير الملك عبد العزيز بالامتيازات الأجنبية التي تتمتع بها بريطانيا لحماية مواطنيها الموجودين في الحجاز. ولكن الملك عبد العزيز رفض ادعاءات (جوردن) بشأن الامتيازات من حيث المبدأ، وواصل التحقيق مع هذا الكاتب. وأكد لـ (جوردن) أن القبض عليه مسألة تخص حكومة الحجاز وتخصه هو شخصياً؛ فحافظ على هيبة بلاده وسلامتها وأمنها[1].

ومما يدل على أن الملك عبد العزيز يرى الترابط بين الدين والسياسة وأن الامتيازات التي قد تبدو للبعض أنها مسألة سياسية بحتة ليس لها بعد ديني، أو أنها دينية بحتة ليس لها بعد سياسي وسيادي فقد أكد الملك عبد العزيز لـ (جوردن) أن الدين والسياسة وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن الفصل بينهما، وأصر على ما سبق أن أعلنه في مناسبات من أنه لا قانون في البلاد المقدسة إلا الشريعة، يقول الدكتور جمال محمود حجر: «وأهم ما يعنينا في هذا المقام هو إبراز مسألة تطبيق الشريعة تطبيقاً يصون قدسية الحرمين الشريفين، وهنا تصطدم محاولة الملك عبد العزيز بالامتيازات التي كانت تتمتع بها الدول الأوروبية في مختلف

(١) «إنهاء الملك عبد العزيز للامتيازات الأجنبية في الحجاز ١٩٢٦/ ١٩٢٧م»، د. جمال محمود حجر، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة العاشرة، شوال ١٤٠٤هـ، ص٢٢.

أنحاء الإمبراطورية العثمانية منذ القرن السادس عشر، ولم تفلح جهود العثمانيين، أو ورثتهم الهاشميين في إلغائها، وورث عبد العزيز عن هؤلاء تركة مثقلة بالامتيازات، لم يكن هناك من سبيل للقضاء عليها غير تجاهلها، وعدم الاعتراف بها عند تطبيق الشريعة في الأراضي المقدسة.

أما هذه الامتيازات فهي مجموعة من المعاهدات، عقدها السلاطين العثمانيون، مع معظم الدول الأوروبية، وأهم شروطها: ضمان تطبيق هذه الدول لقوانينها على مواطنيها الموجودين في أراضي الدولة العثمانية، فإذا حدث صدام بين شخصين، أوربي والآخر عثماني، فإن محاكمة الأوربي تتم أمام المحكمة القنصلية لبلاده، وفي كل الأحوال فإن من الضروري أن يحضر القنصل، أو مندوب عنه أية محاكمة قد تجري لأحد رعايا بلاده في المحاكم العثمانية، وعليه أن يستخدم مختلف الوسائل التي تضمن إبطال تنفيذ الحكم.

كفل هذا الأسلوب للمواطن الأوروبي العادي ميزات يتمتع بها الدبلوماسيون وحدهم، ذلك أن الأجنبي ـ أي أجنبي ـ يخضع للقوانين والنظم السائدة في البلد الذي يوجد فيه، وبهذا الأسلوب أيضاً تفقد الدولة المانحة للامتياز كثيراً من سيادتها على أرضها، ويتوارى تطبيق قوانينها أمام سطوة قوانين الامتيازات»[١].

ومما يثبت بُعْدَ نظر الملك عبد العزيز فيما يتعلق بخطورة الامتيازات على سيادة الدولة على أراضيها ما ذكره د.إبراهيم

(١) المرجع السابق، ص ٢٣.

السنيدي حول الامتيازات الأجنبية في مصر إذ قال: «مما يذكره رجال القضاء والتشريع: أن من أهم مظاهر السيادة «الولاية القضائية»، لكن هذا المظهر كان منعدماً في مصر لأن القضاء كذلك كان يخضع في مصر لقيود الامتيازات، وهي قيود ثقيلة تعطل سير العدالة بتعدد جهات التقاضي، وتغل أيدي السلطات المصرية، فلا يصل إلا إلى طوائف كبيرة من المجرمين»[١].

وبهذه المناسبة أنقل للقارئ شهادة شخص خبير وعارف وسابر لأغوار الامتيازات والقوانين الأجنبية وهو الدكتور عبد الرزاق السنهوري الذي قال عنها وعن مفعولها وآثارها الجانبية ونتائجها السلبية في تقديمه لكتاب الامتيازات الأجنبية: «ولست أتردد في أن أقدم لجمهور القراء هذا الكتاب الجديد بالعناية، بعد أن بذل المؤلف في كتابته مجهوداً موفقاً، استطاع من ورائه أن يبسط لأبناء وطنه، بعبارة طلية شيقة، ما هي هذه الامتيازات التي يتمتع بها الأجانب في مصر من عهد قديم، وما نشأ عن هذه الامتيازات، أو بالأولى عن التعسف في استعمال هذه الامتيازات، والتوسع فيها توسعًا يتناقض مع المعاهدات والعرف الدولي من الأضرار بمصالح مصر القضائية والاقتصادية، وما أدت إليه من انتقاص لسيادة الدولة المصرية»[٢].

---

(١) دخول القوانين الوضعية إلى مصر، د.إبراهيم السنيدي، ص ١١٦، (رسالة ماجستير غير منشورة).

(٢) الامتيازات الأجنبية، تأليف محمد عبد الباري، تقديم د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، ص٣ ـ ٤.

ومما يوضح ويؤكد سعي هذه الدول الغربية للتنصير من خلال الامتيازات الأجنبية تقرير صدر عن القنصلية الأمريكية في القدس وهذا نصه: (أُلْقِي القبض على الريفرنس جورج بردين والريفرنس وليم سمالي اللذين يعملان مع بعثة الحدود العربية التابعة لهيئة التبشير المسيحي المتحد، وكانا قد قاما برحلة إلى الحجاز في نوفمبر ١٩٢٧ ربيع أول ١٣٤٦هـ وقد أُلْقِي القبض عليهما ورُحِّلا عن طريق جدة مع وضع تأشيرة على جوازهما بمنع دخولهما الحجاز أو نجد، ويبدو أن المستر فيلبي هو الذي نصح بالإفراج عنهما وتحرير خطاب للمفوضية الأمريكية لتحذيرها من إرسال مبشرين إلى نجد والحجاز مرة أخرى(*). وقد تصرف الأمير فيصل بحزم وكتب باسم وزارة الخارجية في مكة ٨ ديسمبر ١٩٢٧ ـ جمادى ثاني ١٣٤٦هـ ـ إلى القنصلية الأمريكية في القاهرة: «أن الحكومة لن تسمح أبدًا مهما كانت الأسباب لأي شخص يمارس التبشير بالمسيحية في الحجاز، والحكومة لا تتحمل أية مسؤولية عن مصير أي مبشر يدخل البلاد بدون علم وإذن منها، وقد كتب الدكتور (س.م زويمر) الرئيس الميداني لجمعية الأدبيات الأمريكية المسيحية تقريراً للمفوضية الأمريكية في القاهرة في ١٧/ ١٢/ ١٩٢٨م وقد عرفته المفوضية بأنه من أكثر

(*) التقرير يعني بعبارة (نجد والحجاز) دولة نجد والحجاز وملحقاتها أو سلطنة نجد ومملكة الحجاز وملحقاتها كما كانت تسمى الدولة السعودية قبل عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، إذ لا يعقل أن يعني التقرير السماح بوجود المبشرين في المنطقة الشرقية أو أي منطقة أخرى في السعودية.

المبشرين المسيحيين العاملين في العالم الإسلامي صلابة وحماسة، وقالت: إنه يعتقد بوجوب السماح للجمعيات المسيحية التبشيرية بإنشاء المدارس ومراكز الإنجيل والقيام بكل النشاط الذي تمارسه الآن في الأراضي المسلمة الأخرى، وأن الدكتور ألكسندر المتحدث باسم المبشرين في مصر يؤيد آراءه ويرحب بأية فرصة لإنشاء معهد تبشيري في جدة، ويعتقد أن ما يسمى بقدسية الحجاز سيشكل عقبة لا يمكن تخطيها، بل يرى أن بداية صغيرة في جدة يجري تمويلها من الوطن «أمريكا» إذا ما أديرت بحكمة فإن السلطات الحجازية سترحب بإنشاء مدرسة أمريكية في جدة، ومن هذه البداية فإن التنظيم التبشيري الأمريكي القائم الآن في مصر يمكن أن يقوم مثله في الجزيرة. وقد عرضت هذه الآراء على وزارة الخارجية حتى تضع في اعتبارها عندما تبحث قضية الاعتراف بحكومة ابن سعود أن أحد العوامل التي تجعل هذه الحكومة تتردد في الاعتراف هو عدم سماح الحكومة (السعودية) للنشاط الأمريكي المسيحي التبشيري»[١].

ومما يُظهر بجلاء دعم الدول الغربية للتنصير بذريعة (القوانين الدولية) أو (الامتيازات الأجنبية)، هذا النص لرسالة بين نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط، وفيصل (سلطان مسقط وعمان).

«من نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط.

إلى: سلطان مسقط.

(١) السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك، ص ٧٠٣ ـ ٧٠٤.

التاريخ ٢٣ مارس ١٩٠٩

سيدي،

طبقاً للقوانين الدولية الخاصة بحماية المبشرين، فإن المبشرين الموفدين من الطوائف الدينية في الولايات المتحدة إلى البلاد المحمدية...لهم الحق في الحصول على جميع أنواع الحماية التي يخوّل القانون الدولي هذه الحكومة بتقديمها إلى المواطنين للإقامة في بلاد أجنبية لمزاولة أعمالهم المشروعة» ا.هـ، ويعلق مؤلف كتاب (أصول التنصير في الخليج العربي) عليها قائلاً: «يتضح لنا من هذه الرسالة حماية حكومة الولايات المتحدة ودعمها المباشر للمبشرين...»، ولم يشفع لدى الأمريكيين غضب السلطان فيصل ورده في رسائل تليها قائلاً: «إني أرفض السماح للمبشرين بافتتاح مستشفى...بلِّغ الحكومة الأمريكية أنها لا تستطيع إرغامي على فعل ما لا أريد»، فقد رد القنصل الأمريكي بقوله: «إن الحكومة الأمريكية تؤكد أن حق الرعايا الأمريكيين في ممارسة الطب على أراضي جلالتكم قد ضمنته المعاهدة بين حكومة جلالتكم وحكومة الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٣م..» وتحول القنصل الأمريكي إلى لهجة الآمر الناهي قائلاً في نفس الرسالة (..يجب أن يحظى الرعايا الأمريكيون بالحماية في عُمان..»[(١)].

قد تقول يا شيخ: ينبغي أن نكون واقعيين: هل يكون

(١) أصول التنصير في الخليج العربي، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨، بتصرف يسير.

للمدرسة أثر فعلي في تغيير أفكار أفراد المجتمع تجاه منطقتهم وتحويل عقيدتهم إزاء وطنهم؟

الواقعية هي الاعتبار بالواقع المعاصر، لا بالتغاضي عنه، والواقعية الاعتبار بالتجربة والاستفادة من التاريخ، ولو لاحظنا يا شيخ الواقع المعاش والتجربة المعاصرة والتاريخ الماضي الذي ما زالت تداعياته على المجتمعات الإسلامية والتحولات التي حصلت والتغيرات التي ظهرت فيه لأيقنّا بأن خطط الأعداء نجحت، وبرامجهم سيطرت على المجتمع، وما ذاك إلا بحسن ظن من صادقي النية من الحكام والعلماء، وما ذاك إلا بالقول بالواقعية الخالية من النظرة المستقبلية والبعيدة عن الاتعاظ بالتجربة التاريخية من ذوي القلوب الطيبة من الحكام والعلماء، وذلك باسم الحضارة والتعايش وقبول الآخر وترميم الآثار. ومن الأمثلة على ذلك يقول الدكتور عادل حسن غنيم: (.. فخلال حكم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) شهدت الدولة العثمانية صحوة حضارية، واستفاد بيت المقدس بصفة خاصة من جهوده الإصلاحية، فدعا السلطان رعاياه إلى الإقامة في بيت المقدس خاصة اللاجئين اليهود الذين استقروا في الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا، وكان معظم اليهود يفضلون في ذلك الوقت الإقامة في طبرية وصفد، ولكن مجتمعهم في القدس تزايد عدداً في عصر سليمان فأصبح ثلاثة أضعاف من كانوا موجودين قبل ذلك.

والذي يهمنا هنا ما حدث من سليمان القانوني بالنسبة

للحائط الغربي للحرم القدسي، إذْ يذكر مرجع أميركي هام أن اليهود لم يُظْهِروا في الماضي أي اهتمام قط بذلك الجزء من الحائط، فبعد أن أعيد بناء الهيكل للمرة الثانية في عهد هيرودس عام ٤٠ ق. م كان المكان جزءاً من مركز تجاري ولم يكن له أهمية دينية، وأن اليهود كانوا يتجمعون للصلاة على جبل الزيتون وعند بوابات الحرم، وعندما منعوا من دخول المدينة في أثناء الفترة الصليبية كانوا يصلون عند الحائط الشرقي للحرم، غير أن تغيراً حدث خلال الحكم المملوكي حيث كانت هجمات البدو سبباً في عدم تجمعهم للصلاة على جبل الزيتون، فاتجهوا إلى مساحة قرب الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف حيث أصدر سليمان القانوني فرماناً يسمح بمكان محدد لليهود للصلاة عند الحائط الغربي...

ويضيف المصدر ـ والكلام هنا لعادل غنيم ـ بأنه لم تكن تقام هناك بعد طقوس رسمية للعبادة غير أن اليهود يحبون قضاء فترة ما بعد الظهيرة هناك يقرؤون المزامير ويقبلون الأحجار، وسرعان ما اجتذب الحائط الغربي أساطير كثيرة، فقد رُبِط الحائط بأقاويل من التلمود تخص الحائط الغربي، وهكذا أصبح الحائط رمزاً لليهود، وأصبحوا يشعرون بتواصلهم مع الأجيال الماضية وبمجدهم الذي ولَّى. ويلتقي مرجع صهيوني مع ما ورد في المرجع الأميركي من أن سليمان القانوني هو الذي سمح لليهود بمكان للصلاة عند الحائط الغربي للحرم القدسي إذ ورد في بحث قدمه روحي الخطيب أمين القدس السابق إلى مؤتمر حماية المقدسات والتراث الإسلامي في فلسطين نصّ أخذه من

الموسوعة اليهودية الصادرة في القدس عام ١٩٧١م: يقول النص: «إن الحائط الغربي أصبح جزءاً من التقاليد الدينية حوالي ١٥٢٠م نتيجة للهجرة اليهودية من إسبانيا وبعد الفتح العثماني سنة ١٥١٧م». ويعني ما ورد في المرجعين الأميركي واليهودي أن العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني هم الذين منحوا اليهود حق التعبد والصلاة في مكان محدد عند حائط البراق أو الحائط الغربي للحرم القدسي من قبيل التسامح الديني مع اليهود بعد طردهم من إسبانيا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ...

ومع أن الأطماع اليهودية لم تكن واضحة في ذلك الوقت، لكن ما يؤخذ على بعض السلاطين العثمانيين أنهم على الرغم من إصلاحاتهم لم يكونوا أمام معاونيهم ومستشاريهم على قدر كافٍ من الوعي بقدسية هذا المكان الذي شهد حادثة الإسراء والمعراج، وكان أول قبلة للمسلمين. وبعد وفاة سليمان القانوني عام ١٥٦٦ بدأت دلائل ضعف الدولة، حيث تدهور النظام الاقتصادي تدريجياً وتعرضت الدولة لبعض الهزائم العسكرية...

وأما عن الحرية الدينية خلال تلك الفترة فقد أعلن إبراهيم باشا منذ بداية الحكم العثماني للشام مساواة جميع الطوائف في المعاملات والحرية الدينية، حيث تم إلغاء كافة العوائد والمرتبات والحراسة التي كانت تؤخذ من الأديرة المسيحية واليهود، كما سمح لليهود بالاقتراب من الحائط، والبكاء عنده مقابل ٣٠٠ جنيه إنجليزي كانوا يسددونها سنوياً لوكيل وقف «أبو مدين» وقد جرى هذا في إطار السياسة التسامحية التي كان يتبعها إبراهيم باشا.

وقد ورد في مؤلفات معاصرة أن السيّاح الذين زاروا الأرض المقدسة خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادية ذكروا أن اليهود استمروا إلى الحائط وجواره لتقديم تضرُّعاتهم. واضح إذاً أن إعادة الصلاة والبكاء عند الحائط قد تفشَّت خلال الحكم العثماني وبشكل خاص خلال القرن السادس عشر على يد سليمان القانوني..)[١].

فنلاحظ في هذا النص التاريخي أنه بسبب ما يسمى بـ (التسامح الديني)، وتحت مظلة (الحرية الدينية)، **ومن خلال شعار (التحضر والصحوة الحضارية) نَفَّذ اليهود والنصارى برامجهم الاستعمارية القائمة** على (دعوى تاريخية) و(حقوق دينية) مزيفة منطلقاً وقانوناً؛ وكانت النهاية الاحتلال وخلخلة سيادة المسلمين في بقية أرضهم، ولم تقف برامج السيطرة والنفوذ وبرامجها على فلسطين وحدها؛ بل امتدت إلى جميع بلاد المسلمين القريبة والبعيدة عنها.

ونلاحظ، يا شيخ، أنه بعد هذا التسامح والحرية الدينية غير المنضبطة بضوابط شرعية، وبعد فترة من إحسان الظن ببرامج اليهود والنصارى في البلاد الإسلامية وضعف التعبئة الجماعية والوعي الجماعي تجاه تلك البرامج؛ وما ترتب على ذلك من سيطرة اليهود والنصارى على الأماكن المقدسة تنبه علماء الإسلام؛ وجاءت فتوى التحريم والإلزام والاهتمام بالمسميات

(١) حائط البراق أم حائط المبكى، د. عادل حسن غنيم، ص ٢٦ ـ ٣٣، بتصرف كبير.

والمصطلحات ودورها ومفعولها، وهذا دليل تاريخي له أثره المعاصر يفيد في قضية الاهتمام بالمصطلح والعناية بالمسميات في قضيتنا ـ مصطلح ومسمى (الجزيرة العربية) ـ لكن مثل هذا الاستدراك وهذه المراجعة ينطبق عليهما المثل الشعبي (إذا فات الفوت، ما ينفع الصوت)، يقول الدكتور عادل حسن غنيم متحدثاً عن ردود الأفعال على مستوى العلماء بعد صدور قرارات المؤتمر الصهيوني السادس عشر سنة ١٩٢٩م، التي كان من أهمها المطالبة بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها لليهود والدعوة بملكية **(حائط المبكى)**:

(تقاطرت الوفود من أنحاء العالم الإسلامي إلى القدس للدفاع عن القضية وإعلان تمسك المسلمين بملكية الحائط، فقد سافر من مصر أحمد زكي ومحمد علي علوبة ومحمد الغنيمي التفتازاني، ومن العراق مزاحم الباجهجي ومن لبنان صلاح الدين بيهم، ومن إيران ميرزا مهدي ومن أفغانستان السيد عبد الغفور، ومن إندونيسيا أبو بكر الأشعري وعبد القادر مذكر، ومن الهند عبد الله بهائي والشيخ عبد العلي، ومن بولونيا مفتيها الدكتور يعقوب شنكوفتش، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الفلسطينية البارزة: عوني عبدالهادي وأمين التميمي وأمين عبدالهادي وجمال الحسيني ومحمد عزت دروزة وراغب الدجاني والشيخ حسن أبو السعود، إضافة إلى شخصيات أخرى من الجزائر وطرابلس والمغرب وسوريا وشرقي الأردن. وكان لهذه المظاهرة الإسلامية الكبرى دلالتها ومغزاها العميق، فلم تكن المسألة تعني مجرد المحافظة على حائط البراق بقدر ما كانت تتعلق بفكرة الدفاع

المشترك عن الآثار والتراث والذكريات الإسلامية واستعداد المسلمين للتضامن دفاعاً عما يقع عليهم من ضروب الاعتداء. لكن حجة المسلمين كانت هي الغالبة، إذ استطاع دفاعهم أن يثبت أن جميع المنطقة التي تحيط بالجدار وقف إسلامي بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية، وأن نصوص القرآن وتقاليد الإسلام صريحة بقدسية المكان عندهم، وأن زيارة اليهود للحائط منحة محددة بموجب أمر الدولة العثمانية، ولم تكن إلا زيارة مجردة، ولا صوت فيها ولا إزعاج ولا أدوات جلوس أو ستائر)[١].

ويقول الشيخ عكرمة صبري ـ مفتي القدس ـ: (إن الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف موقع إسلامي خالص هو حائط البراق)، وقال: (إن حائط البراق جزء من المسجد الأقصى وأفتى بأن تسميته حائط المبكى حرام على المسلمين؛ وأضاف أنه يتعين على جميع المسلمين وأجهزة الإعلام أن تلتزم بالتسمية الشرعية وهي حائط البراق؛ فالمسلمون لا يعترفون بملكية اليهود للحائط فضلاً عن عدم وجود صلة بين أي حجر في هذا الحائط وبين التاريخ اليهودي، واحتلاله لا يعطي إسرائيل شرعية. استولت إسرائيل على الحائط عندما احتلت القدس الشرقية العربية عام ١٩٦٧م، وضمتها في خطوة لم يعترف بها المجتمع الدولي)؛ وقال الشيخ عكرمة: إن حائط البراق من الحائط الغربي للمسجد الأقصى وإن كل حوائط الأقصى تديرها الأوقاف الإسلامية ومن

(١) المرجع السابق، ص ٤٤ ـ ٤٥.

ثم فحائط البراق يخص المسلمين وحدهم)[١].

ومما يدل، يا شيخ، على مفعول العقيدة الرافضة لخطط الأعداء ودور المدرسة في الاستقرار السياسي ومفعول ما يسمى بالإيديولوجيا السياسية حرص دولة إسرائيل على طمس هذه العقيدة المضادة، وتغييب الوعي الفلسطيني تجاه عدوه ومغتصب أرضه ومحتل مقدساته، وذلك عن طريق التغيير في المناهج الدراسية وحذف النصوص التي تدعو لمواجهة المحتل ومحاربته، وتحريف النصوص التي كانت سبب تعبئة المجتمع تجاه خطط المحتل المستقبلية. ففي كتاب (العرب واليونسكو) محاضر ووثائق تبين هذا الأمر بوضوح تام؛ يقول مؤلف الكتاب حسن نافعة: «...دخل الصراع العربي مرحلة جديدة بعد احتلال إسرائيل لسيناء والجولان والضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧م، وبهذا الاحتلال سيطرت إسرائيل على الجزء الأكبر من مدارس الأونروا التابعة لليونسكو، وعلى مدينة القدس بالغة الأهمية من الناحيتين الدينية والأثرية. وعاد الصراع العربي ـ الإسرائيلي يطرق أبواب اليونسكو بشدة نتيجة محاولات إسرائيل تغيير المناهج الدراسية المقررة على الطلاب في مدارس الأونروا من ناحية؛ وبسبب الحفريات التي بدأت في تنفيذها في مدينة القدس تحت قبة الصخرة والحرم الإبراهيمي[*]، والتي شكلت تهديداً خطيراً على عدد كبير من

(١) نقلاً عن إحدى الصحف.

(*) لعل الدكتور حسن نافعة قد عنى بالحرم الإبراهيمي الحرم القدسي؛ إذ لا حفريات تحت الحرم الإبراهيمي، فيما الحفريات مستمرة تحت المسجد الأقصى بما يهدد المسجد بالانهيار في أي لحظة.

الآثار العربية التي تهم المسلمين والمسيحيين على السواء»[١].

وتحت عنوان «**أوضاع التعليم في الأراضي المحتلة**» قال: «قد يبدو من المفارقات أن تكون إسرائيل هي التي تسببت في الواقع في أن تصبح أوضاع التعليم في الأراضي المحتلة بنداً ثابتاً على جدول أعمال اليونسكو منذ ما يقرب من عشرين عاماً إلى الآن. وقد بدأت القصة عندما أرسلت الحكومة الإسرائيلية مذكرة إلى المدير العام لليونسكو تدعي فيها أن المناهج الدراسية المقررة على طلبة مدارس الأونروا التي تشرف عليها اليونسكو مليئة بعبارات تحض على كراهية اليهود وتلقن هؤلاء الطلاب مبادئ وأفكار تتناقض مع مبادئ اليونسكو وأهدافها؛ وكانت إسرائيل لا تزال تعيش نشوة الانتصار الخاطف والمذهل في عام ١٩٦٧م، وكانت قد نجحت من قبل في أن تروج لنفسها في أذهان الرأي العام العالمي، صورة الدولة الصغيرة المسالمة، المحاطة ببحر من الأعداء الأقوياء، وها هي تستأنف هجومها الدبلوماسي على العرب من خلال أكبر منبر فكري في العالم وهو اليونسكو، وتتهمهم بأنهم عنصريون ومحرضون على سفك الدماء؛ كي تثبت الصورة التي رسمتها الحركة الصهيونية، وتقنع الرأي العام بأن العرب يستحقون ما جرى لهم، وكان هذا في الواقع هو الجزء الظاهر من جبل الثلج، أما الجزء الخفي والأكبر فقد تمثل في حقيقة أن هذا الهجوم الدبلوماسي الإسرائيلي كان يخفي خطة جهنمية لطمس معالم الثقافة الفلسطينية، وتمييع الهويتين العربية

(١) العرب واليونسكو، د.حسن نافعة، ص ١٦٣.

والإسلامية لسكان الأرض المحتلة كمقدمة لاستيعابهم وإنهاء روح المقاومة لديهم بعد أن نوت إسرائيل ضم بقية الأراضي الفلسطينية نهائياً وإلى الأبد»[١][*].

هذا ما بذله اليهود في تغيير مناهج المسلمين في فلسطين، أما عن تعبئة اليهود لليهود وذلك من خلال مناهجهم المدرسية، فحدث عن بني إسرائيل ـ ولا حرج ـ إن صحت النسبة. يقول الدكتور محمد علي البار تحت عنوان (تدريس الدموية): «ولقد قرر (بن جوريون) تدريس النصوص التوراتية التي تؤكد حق إسرائيل في أرض فلسطين والأردن ولبنان وأجزاء من سوريا حتى حماة وأحياناً تمتد الحدود «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل». وتستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصب، ولقد قام العالم السيكولوجي تاماران من جامعة تل أبيب بوضع استبانة لألف طالب من المرحلة الابتدائية وسأل الطلبة عما إذا كانوا يوافقون على أن يقوم الجيش

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(*) ومن هذا الحرص اليهودي على تثبيت مفهوم دولتهم وسيادتهم عند عامة العرب في المناهج الدراسية العربية، ورفض اليهود كل ما يصادم سيادتهم في النصوص الدينية وحتى في مادة الجغرافيا ـ وإن تم التفاهم مع الحكومات ـ ما ذكره مقدم برنامج (أكثر من رأي) على قناة الجزيرة الفضائية، إذ يقول: «...أريد أن أركز على نقطة، ما قاله شارون في باريس لصحيفة لوموند الفرنسية بأنه خرائط.. يعني إسرائيل لا تظهر على الخرائط في الدول العربية خاصة مصر والأردن ويوجد اتفاقية معنا..يوجد اتفاقية سلام...» (من موقع الجزيرة الفضائية، حلقة بثت في ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٥م).

الإسرائيلي بما قام به يوشع بن نون من حرب إبادة ضد أريحا وما حولها؛ وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ ـ ٩٥ بالمائة في المدرسة والمستعمرة (الكيبوتز) والمدينة)[(١)][(*)].

قد تقول: يا شيخ همنا في هذا المقام منطقتنا (الجزيرة العربية)؛ وهل بالفعل المدرسة لها دور في محاولة تحويل ما يسمى بالإيدولوجيا السياسية أو تغيير عقيدة التوحيد الداعمة والمرسخة للوحدة الجغرافية والسياسية؟

الجواب: نعم، يا شيخ؛ لكن قبل البحث في هذه المسألة أرى أن همنا ينبغي أن لا ينحصر في الجزيرة العربية وحدها؛ بل كل البلاد الإسلامية ينبغي أن يكون لها نصيب من الهم استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وخضوعاً لقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه». وأمن الجزيرة العربية مرتبط بأمن جيرانها وبمحيطها وبالمسلمين. والذي قام بهذا الربط وراعى أهميته هم

(١) تحريف التوراة والعهد القديم وسياسة إسرائيل، د. محمد علي البار، مجلة الحج، العدد ١١ ـ ١٢، جمادى الأول وجمادى الآخر١٤٢٢، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(*) وهذا ما يجعل قضية التعليم مسألة حساسة ذات بعد استراتيجي يحافظ على المكتسبات السياسية والسيادية، فكل دولة تضع نصب أعينها القيم التي تريد أن يتطبع بها أبناؤها، فعلى سبيل المثال ينص برنامج الإصلاح التربوي في مصر على أن التعليم قضية أمن قومي في المجال السياسي، والاقتصادي، والعسكري. انظر تقرير مختصر عن الجهود التي تبذل في جمهورية مصر العربية لتطوير التعليم العام، وزارة المعارف ـ السعودية، غير منشور.

حكام الجزيرة العربية، وبالذات الأمر في فلسطين؛ وكان موقف الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ معروفاً من خلال رسالته إلى الرئيس الأميركي ترومان، والتي كان من ضمنها قوله قاصداً اليهود: «أضف إلى ذلك أطماعهم التي بيّتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ومنها أماكن في بلادنا المقدسة». ويقول في رسالة أخرى: «إن برنامج الصهيونية والاستعدادات التي تقوم بها في فلسطين لا تعتبرها الحكومة العربية السعودية موجهة لفلسطين وحدها، بل هي في نفس الوقت تعتبر خطراً مهدداً للمملكة العربية السعودية»(١).

وفي حديثه مع «ديكسون» ذكر الملك عبد العزيز له بأن الهدف النهائي للصهاينة ليس هو الاستيلاء على فلسطين فقط؛ بل على أرض تمتد حتى المدينة المنورة وعلى أمل بسط هيمنتهم في الشرق على أرض تمتد إلى الخليج العربي(٢). ومما يصب في الموضوع نفسه ما ذكره وحيد الدالي مدير مكتب عبد الرحمن عزام باشا، فقد تحدث عبد الرحمن باشا إلى الملك عبد العزيز فأسر الأخير إلى محدثه أنه على الرغم من كل شيء ـ يعني خيانات ومؤامرات بعض الزعماء ـ لا يستطيع أن يرى بلاد العرب (أي جيرانه) تتعرض لسوء ولا يهتم لأنه فضلاً عن عروبته يعلم

(١) الملك عبد العزيز والقضية الفلسطينية، مصطفى فودة، مجلة العالِم، السنة الأولى، العدد الخامس، شباط (فبراير) ١٩٩٩م، شوال ١٤١٩هـ، ص ٦٢.

(٢) السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، محمد أبو القاسم حاج محمد، ص ١٣١.

أن الشر يصل إليه حتى إن وصول الألمان للعلمين كان معناه وصولهم إليه[١].

ومثله قول الملك فيصل رحمه الله: «إذا وقعت الواقعة فسترونا في المقدمة على حدود فلسطين، وإذا ضاعت فلسطين فلا أمل لأي قطر عربي في البقاء، ولن تكون المملكة العربية السعودية أقلَّ استهدافاً للخطر من غيرها. إن فلسطين هي قلب العروبة، ويتوقف كيان العرب ومصيرهم على بقائها عربية، وهذه حقيقة لا يجوز أن يتجاهلها عربي واحد. وكل شيء يمكن حدوثه إلا موقف السعودية من هذه القضية فلن يتغير»[٢]. ويذكر معروف الدواليبي في مذكراته التي نشرت أجزاء منها صحيفة الشرق الأوسط أن كسينجر عندما زار الملك فيصل ضمن جولة إلى بعض الدول العربية لاستطلاع آراء قادتها حول موقفهم من القضية الفلسطينية بعد صدور قرار رقم (٢٤٢)، قال له الملك فيصل: «أنا ما عندي حل إلا حق تقرير المصير للفلسطينيين، ولو أن الفلسطينيين كلهم قبلوا الصلح ما قبلتُ أن أصالح، لأن إسرائيل خطر على الإسلام والمسلمين. أما حق تقرير المصير فمن حق الفلسطينيين، وأما القدس بصورة خاصة ثالث الحرمين فأنا أطالب بها. فقال له كسينجر: أنا طفت العالم العربي فما وجدت أحداً يذكر القدس غيرك»[٣].

---

(١) أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام، وحيد الدالي، ص ٦٣.

(٢) السياسة الخارجية السعودية، د. عبد الله القباع، ص٢٩١.

(٣) د.معروف الدواليبي، مذكرات، الحلقة الخامسة والأخيرة، صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ٢٢/٥/١٤٢٦هـ، عدد ٩٧١٠.

ومثله أيضاً ما قاله الملك فهد في محاضرة له عن التضامن الإسلامي: «.. فالإسلام عزُّنا والمسلمون سندنا وعمقنا الإستراتيجي»[١].

ومن اهتمامات حكام الجزيرة بهذه القضية ـ ربط أمن الجزيرة العربية بأمن جيرانها ـ يقول صاحب كتاب (السعودية وقدر المواجهة):

«لا يحتاج المرء إلى كثير من التحليل والمنطق ليستنتج أن المطالب الخلافية لا تتناول المواقف أو العلاقة بإيران أو العراق أو أفغانستان أو بسواها، وإنما هي في موضوع التسوية والعلاقة بإسرائيل وتحديداً في بطء الحركة السعودية باتجاه الدولة العبرية وحذرها وتحفظاتها التي حالت ـ حتى الآن على الأقل ـ دون اجتياح إسرائيل للجزيرة العربية والخليج العربي بأسواقها ومصادر الثروة فيها وأجوائها وما إلى ذلك، فالتحفظ السعودي على الانفتاح الخليجي على إسرائيل كما في حالتي قطر وعمان تحفظ علني وصريح، والموقف المعارض لرفع المقاطعة الاقتصادية ولو في درجتها الدنيا موقف متقدم على عدد من المواقف العربية الأخرى التي تعودت المزايدة في الموضوع ـ من مثل الموقف العراقي الغامض والملتبس وسواه»[٢].

ومما يدل على ذلك ما صرح به أحد المسؤولين في الدول

---

(١) التضامن الإسلامي والدور السعودي، الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الضحيان، ص٤٩.

(٢) مرجع سابق، ص٦٧.

المجاورة في كون المملكة صمّام الأمان ووقوفها تجاه أي اختراق أجنبي؛ وفي هذا السياق فقد جاء في صحيفة الشرق الأوسط على لسان محمد الصباح وزير الخارجية الكويتي للصحافيين بعد اجتماعه مع لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية لمناقشة آخر التطورات والمستجدات السياسية على الساحتين الإقليمية والدولية: (إن المملكة العربية السعودية هي صمام الأمان لدول مجلس التعاون الخليجي، وهي المرسى الذي نربط به جميعاً عندما تكون العواصف عاتية وشديدة، وهي ملاذنا؛ لذلك لا يمكن أن نتصور بأن هناك خلافاً بين المملكة وأي دولة من دول الخليج...وأضاف: «لا يوجد خلاف وكل ما هنالك هي اجتهادات وأفكار مختلفة في كيفية تدعيم الموقف الخليجي وتحصينه من أي اختراقات خارجية. وكشف عن نيته لعقد اجتماع بين الدول الخليجية على مستوى الفنيين قريباً لمناقشة هذه الاجتهادات»[١].

والتجربة الماضية مع المستعمر القديم تجعلنا نفهم تحركات المستعمر الجديد والقادم وتصرفاته؛ فكما سبق أن المستعمر الجديد يحذو ويسير على خطوات المستعمر القديم، والعقلية نفسها، وإن اختلف الأسلوب كما مر في ملفّ الاحتلال العراقي للكويت والذي كان في أدراج المخابرات البريطانية؛ ثم تحول إلى أدراج المخابرات الأمريكية. فمن الخطوات التي طبقت في الماضي في استعمار البلدان الإسلامية والسيطرة عليها (عزلها عن

(١) صحيفة الشرق الأوسط، ١٦/ ١١/ ١٤٢٥هـ.

بقية إخوانها وجيرانها ومحيطها من الأساس)؛ فمن التجارب القديمة في هذا العزل على يد المستعمر القديم الإنجليزي، التي يسير عليها المستعمر الجديد الأمريكي يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري: «ولقد ثبت تاريخياً أن معاهدة لندن ١٨٤٠م كانت الخطوة الأولى في مخطط إكمال احتلال مصر سنة ١٨٨٢م لأنها أرغمتها على التقوقع في الداخل والغرق في مشكلاتها الداخلية دون إصلاح حقيقي مع قطع شرايينها التي تربطها بمحيطها الطبيعي إلى أن أصبحت لقمة سائغة. وإذا كان للتاريخ معنى متصل الحلقات بين الماضي والحاضر فإنه يمكن القول إن (العروة الوثقى)[١] قد وقفت من (كامب ديفيد) في القرن التاسع عشر بين المعاهدة والاحتلال السافر موقف الرفض الصريح دون همهمة أو لجلجة، وكانت بذلك أوضح رؤية وأصلب عوداً في مواجهة المخطط رغم حداثة النهضة وغفلة الأمة وعدم تبلور وعي تاريخي عام بالمخططات الاستعمارية في ذلك الوقت المبكر[*].

---

(١) المقصود المجلة التي أنشأها محمد عبده.

(*) ولعل الحكومة المصرية قد اتعظت من أخطاء التاريخ مع الاستعمار، ففي خطاب للرئيس المصري محمد حسني مبارك في ذكرى ثورة يوليو، تحدث مبارك أكثر من مرة عن الحفاظ على أمن مصر القومي وسيادتها واستقلال إرادتها. وتحدث عن أن التعامل مع قضية الأمن القومي يتم من منظور واسع «لا يملك أن ينعزل عن قضايا أمتنا العربية، أو عن بعده الاستراتيجي الجنوبي في السودان والقرن الإفريقي ودول حوض النيل ومنطقة البحيرات العظمى الإفريقية، كما لا يملك الانعزال عن الأبعاد ذات الصلة بأمن البحر الأحمر وأمن الخليج، أو أبعاد أمن مصر القومي المتوسطية والأوروبية والأطلنطية». صحيفة =

ومن المفارقات التاريخية الهازلة أن أصحاب (العروة الوثقى) وأحرارها يُتهمون اليوم في وطنيتهم من جانب المثقفين الذين باركوا كامب ديفيد القرن العشرين، وسارعوا للترحيب برئيس الكيان الإسرائيلي إسحاق نافون في القاهرة، وطالبوا بالإسراع في التطبيع الثقافي مع (إسرائيل) وبالحوار الحضاري معها. تلك مقارنة لا مفر منها تمليها مواقف (العروة الوثقى) علينا في زمانا هذا وتعطينا لمحة لا تخلو من دلالة عن نوعية مثقفينا القياديين قبل مئة سنة ونوعيتها اليوم، وعن حال أمتنا قبل مئة سنة في بداية اليقظة، وحالها اليوم بعد قرن من الزمان التراجعي»[١].

فهذا العزل القديم يجعلنا نفهم أساليب العزلة الجديدة المغلفة بقوانين المحاسبة التي من أهدافها عزل البلد الإسلامي عن محيطه ومحاولة تقويض نفوذه لدى جيرانه. ومن تلك القوانين (قانون محاسبة السعودية) والقائم على قطع صلة العالم الإسلامي بالسعودية حكومة وشعباً معنوياً ـ وهو الأهم ـ ومادياً، وقد نقلت فيما سبق عن الرئيس كارتر في رصد المستعمر الجديد لهذا الدعم قوله: «...فعندما كانت وفد الأوبك تسيل بحرية كان لدى كبرى الدول المصدرة للنفط عائدات غير محددة تمكنها من مساعدة أخواتها الدول العربية مالياً، أو من التأثير عليهم لكي يصبحوا أكثر تعاوناً من أجل الحفاظ على الانسجام ومن أجل تجنب

= الحياة، الخميس ١٥جمادى الثانية ١٤٢٦، عدد ١٥٤٥١، بتصرف يسير.

(١) كتاب رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية، د.محمد جابر الأنصاري، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

النزاع الذي قد يهدد استمرار العائدات»[١]. ويقول رالف أحد مستشاري البيت الأبيض: «إن الحكومة السعودية والشعب السعودي سخروا البترول لدعم ونشر وبث فهمهم وعقيدتهم السلفية بين المسلمين». ومن ذلك ما ذكره (موراويك) الباحث في مؤسسة «راند» الأمريكية الاستشارية ذات الصلة القوية بدوائر اتخاذ القرار الأمريكي إذ أشار إلى أن النفط السعودي يتولى الدعم المالي والحرمين الشريفين يتوليان الدعم الروحي[٢].

وإذا عرفنا أن القانون قائم على إغلاق المعاهد والمراكز والمدارس التي تدعمها وتوجهها السعودية عرفنا دور التعبئة المعنوية واهتمام العدو بها ومحاولة تقويض هذه البرامج التعبوية، ولا يظن القارئ أبداً أن المستعمر الجديد لم يرصد مدى النفوذ السعودي وأسبابه ونتائجه وثماره، والعارف بالسياسة الأمريكية يعرف أيضاً أنه من المستحيل أن يفوت تداعيات حدث احتلال جهيمان الحرم عن الراصد الأمريكي. فمما يبين ذلك قول أحمد زكي يماني ـ وزير البترول السابق ـ في أثر هذه التعبئة ومدى فاعليتها وتداعياتها على العدو «إن نظرة شعوب العالم الإسلامي، وربما معظم حكوماتها إلى المملكة العربية السعودية حكومتها وشعبها تختلف عن نظرتهم إلى أي دولة إسلامية أخرى؛ إنها أعمق بكثير من نظرة الكاثوليكي إلى الفاتيكان، ولقد مرت عليَّ أنا شخصياً تجارب أكدت لي عمق هذا الشعور، وذلك في

(١) رؤية الشرق الأوسط، دم براهام، ص ١٨١.

(٢) «الشيخ صالح اللحيدان بين تهمة الإرهاب ورهاب المثقفين»، حمد الماجد، صحيفة الشرق الأوسط، الجمعة ٦/ ٥/ ٢٠٠٥م، العدد ٩٦٥٦.

زياراتي لبعض الدول الإسلامية في إفريقيا وآسيا، عندما أتجول مع زملائي الرسميين من دول إسلامية أخرى في الشارع نحتكّ بالمواطنين، فألقى من الاهتمام أكثر مما يلقاه زميلي الرسمي المسلم من دولة أخرى، حتى لو كان أكثر ارتباطاً بهم، وهو اهتمام لا صلة له بمنصبي الرسمي مطلقاً وسببه الوحيد أنني قادم من المملكة العربية السعودية؛ ثم يبلغ هذا الاهتمام قمة الحب وعمق التعبير عندما يتضح لهم أني من مكة قبلة الإسلام. وأعترف لكم هنا أن عمق مشاعر الحب للقادم من مكة كانت تدهشني ولذلك يمكنكم أن تفهموا لماذا تحركت الجماهير المسلمة في جميع أنحاء العالم نحو السفارات والمؤسسات الأمريكية عندما انطلقت إشاعة ضعيفة أن أمريكا وراء حادث احتلال الحرم المكي، وذلك في اليوم الأول للحادث ولم يحمِ تلك السفارات والمؤسسات من غضب الجماهير المسلمة إلا مسارعة الحكومة السعودية بإيضاح الحقيقة وهي عدم وجود أي دليل على صحة الإشاعة، وتوقفت حركات تلك الجماهير الغاضبة ولم يحدث أي ضرر سوى القليل كما حدث في الباكستان. بالإضافة إلى احتضان السعودية مكة المكرمة والمدينة المنورة وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج، فإن الحكم السعودي نفسه قد نبت أساساً في تربة دينية؛ فالدين الإسلامي بالنسبة للمملكة العربية السعودية حكومةً وشعباً هو أساس الحكم وهدفه وإطاره»(١).

---

(١) من محاضرة لأحمد زكي يماني، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥١٧٤، ٢٤ جمادى الأول ١٤٠١هـ.

أعود وأرجع إلى ما ورد في الكلام على دور المدرسة في تغيير العقيدة أو ما يسمى بـ (الأيديولوجيا السياسية) التي قام عليها الاستقرار، وقامت عليها السيادة، وذلك من خلال دراسات تأتي تحت مظلة مشروع من مشاريع العدو المتربص لخلخلة هذه السيادة، لكنه قبل خلخلتها على الأرض يبدأ بخلخلتها في الفكر والعقل. فمن تلك الأمثلة دراسة لكمال الصليبي في الجامعة الأمريكية ببيروت بعنوان (التوراة جاءت من جزيرة العرب). تتحدث هذه الدراسة عن أرض الميعاد عند اليهود، وأنها منطقة (عسير) في السعودية وليست فلسطين كما يدعي اليهود، وقد حاول إثبات مزاعمه بشتى الوسائل والمزاعم الباطلة[١]، وتصب هذه الدراسة في برنامج سبق أن اتخذه العدو ذريعة للتدخل في شؤون البلدان الإسلامية وخلخلة سيادتها على أراضيها، وقد ينتهي إلى احتلالها تحت تلك الذرائع. فهي ذرائع تاريخها في البلدان الإسلامية مظلم. وهذه الدراسة تكرس تلك المسيرة وتبين أن (الجزيرة العربية) ليست بمعزل عن البلدان الإسلامية الأخرى. وهذا يؤكد مخاوف الملك عبد العزيز رحمه الله من برامج ومشاريع (الحقوق التاريخية) في فلسطين واستغلال اليهود لهذه الذرائع وربط هذه المخاوف في الجزيرة العربية كما مر معنا.

---

(١) وقد أحسن الرد عليه وبيّن حجم مغالطاته الدكتور عبد المنعم سيد في مقاله الذي بعنوان (المغالطات والأخطاء التاريخية في كتاب الدكتور كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب» دراسة نقدية) والمنشور في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ـ الآداب والعلوم الإنسانية ـ م١، ١٤٠٨هـ، ص ١٩١ ـ ٢٢١.

ومما يبين خطورة الأفكار والعقائد على خلخلة السيادة على الأرض وتعريضها للنفوذ الأجنبي ما سطره العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حفظه الله ـ حيث قال تحت عنوان (حول آثار المدارس الأجنبية الاستعمارية في المسلمين):

(التعليم مثل أي كائن حيّ مستقل بذاته، له جِرم وجوهر، وله شَبَح وروح.

وما روح التعليم وجوهره إلا في ظلٍّ لعقائد واضعيه وأخلاقهم، فلا بد أن ينتج الأهداف والغايات التي تعكس آثار هذا التعليم بكليته على العقائد، والأخلاق، والثقافة، والسياسة، والاجتماع.

فإذا تبنت أمة نظام التعليم في عقيدتها وأخلاقها، أنتج أهدافه منعكسة على شدِّ الأمة إلى عقيدتها وأخلاقها، وسياستها، وآدابها الاجتماعية، والثقافية، ووحدتها في ذلك، وتضييق مساحة الصراع والتبدُّد والانقسام)[1].

ويتابع الشيخ في موضع آخر بذكر أمثلة على أثر هذه المدارس على سيادة الدولة الإسلامية فيقول: (..أن مدرسة التنصير التي افتتحت في إستانبول عام ١٨٦٣م هي التي قادت حركة التمرد على الدولة العثمانية بزعامة قائد الإلحاد والعلمنة والتغريب مصطفى كمال الهالك سنة ١٣٥٦...وهذا هدْمٌ للدولة

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية..تاريخها ومخاطرها،بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ٥٢.

الإسلامية)، وقال الشيخ أيضاً: (..إن مدرسة التنصير التي افتتحت في بيروت عام ١٨٢٣م هي التي طرحت فكرة «القومية العربية» وتولت قيادتها في الوسط الإسلامي. وهذا هدَمَ الحكم بالإسلام عقيدةً وشريعةً)(١).

قد تقول: إن سبب ترجيحي للقول الآخر القاضي بإخراج (المنطقة الشرقية) من مسمى الجزيرة العربية ودعمه بالأدلة لمصلحة الزمن والمكان؛ وهو قول مفاده نقض أحد أصول من يقوم بقتل أو انتهاك حرمة أصحاب الملل الأخرى بحجة إخراجهم من جزيرة العرب فهي محاولة لقطع الطريق على هؤلاء الضالين وتجنيب المكان من إفسادهم وتخريبهم؟

الجواب: أقول هذا الاعتبار بالمصلحة الزمانية أو المصلحة المكانية منهج سليم وجادة مسلوكة لدى المحققين من العلماء كما سبق بيان ذلك في بداية الحوار لأن المسألة محل نظر ومحط اجتهاد، لكن الخطأ في نظري يكمن في تصورك يا شيخ للأزمة الحالية والغلط يقع في إدراكك لبعدها وأبعادها ومن كان خلفها، وهذا الغلط وذاك الخطأ في القصور والإدراك هو سبب اختيارك لهذا الاجتهاد وهذا الرأي، فعلى هذا يجب عليَّ أن أبين هذا الخطأ في القصور وذلك الغلط في الإدراك حتى يتسنى لك معرفة أين تكمن المصلحة وعلى أي الرأيين تقف؟

فأقول: إن أعمال هؤلاء الضالين فكريًّا المضللين سياسيًّا، والغائبين عن الواقع، والمغيبين عن المصلحة والمفسدة الحقيقية،

---

(١) المصدر السابق، ص٦٥.

والتي تصب في مصلحة أعداء (المنطقة الشرقية) وتوجد بين أوراق ملف العدو القاضية بالسيطرة على المنطقة عن طريق خلخلة سيادة الدولة عليها. فإذا لم يدعمها فسوف يباركها، لكن سنجعل تاريخ هذا العدو مع إفساد وتخريب هؤلاء الضالين فكريًّا والمضلين سياسيًّا يحكم بيننا ومن رأيي يا شيخ....أن نضم لهذا التاريخ (التجربة) فهي خير برهان عند العقلاء وكذلك (الاعتراف) فهو سيد الأدلة كما هو معلوم عند القانونيين.

وكما سبق يا شيخ فإن العدو الغربي المستعمر ليس له ذمة ولا عهد مع المسلمين إلا في قضية واحدة فقد عاهد نفسه على أن لا ينقضها ولا يغيرها؛ وهي أنه لا يغير ملفّ الاستعمار القديم بل يعيد فتحه من جديد ويستخدم الأسلوب نفسه لكن بشيء من التطوير والتعديل، وقد نقل عبد الوهاب بك عزام ـ سفير مصر بالباكستان ـ عن الملك عبد العزيز خبرته وتجربته مع العقلية الاستعمارية حين تطرق الملك إلى موقف بعض الدول الغربية من فلسطين حيث قال: «إنهم يقولون وينقضون قولهم»[1]. إذاً فالملفات العدوانية الاستعمارية لا تغير بل تجدد فقط. فهذه الملحوظة يجب أن تسير معنا في قراءة هذا الملفّ وهو استغلال هؤلاء المفسدين والمخربين باسم الجهاد وتوجيه جهادهم ضد المسلمين مستدلين بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]؛ ولذا سمعنا من يقول من هؤلاء: إن

(١) من كتاب رحلات عبد الوهاب عزام، مطبعة الرسالة: ١٣٧٠هـ، ص ٢١٨.

هناك في الجزيرة العربية رأي آخر، وسمعنا من يقول من هؤلاء: إن الجهاد في الرياض أصرح من الجهاد في بغداد.

فتاريخ الجماعات المسلحة في (مصر) يا شيخ يتكرر ولكن هذه المرة في السعودية والتجربة المصرية تصاغ من جديد وبالأسلوب نفسه وبالخطة ذاتها، والمطلوب هو ردة فعل الحكومات والمجتمعات والعلماء والكتاب والمثقفين تجاه دين المجتمع وعقيدة المجتمعين ومناهجهم الدعوية وأساليبهم التربوية؛ فليس المقصود ذات التخريب وليس التفجير والتفخيخ بحد ذاته مطلباً [*]، وهذا الأمر يتبين من خلال حوار سبق أن نشر، فمعذرة لك وللقراء على إعادة نشره وذلك لمناسبته للموضوع وارتباطه الوثيق بهذه القضية، وكان الحوار بعنوان «التفجيرات في السعودية واختراق الجماعات المسلحة»، فانظر وتمعن في نصه الآتي:

قلت : ألا تعرف أن التفجيرات في السعودية مطلب مهم لعدوك الأوحد وخصمك الألد.

قال : من تقصد؟

(*) ومن شواهد ردود الأفعال المطلوبة ـ والتي كانت من تداعيات التفجيرات ـ ما قاله أحد الصحفيين في ندوة نشرت صحيفة الوطن تغطية لها، يقول الصحفي: (وطني هو الممتد من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، ومن أجأ وسلمى إلى سهول تهامة، وطني هو المملكة العربية السعودية، وليس جزيرة العرب أو أرض الحرمين)، وقال أيضاً: (إن هاتين التسميتين «أرض الحرمين وجزيرة العرب» لا تمثلان الوطن ـ من وجهة نظري ـ أو أنهما كلمة حق أريد بها باطل) (صحيفة الوطن، عدد ١٧٤٢، ١/٦/١٤٢٦هـ).

قلت : أقصد الحركة الصهيونية والحركة المسيحية الأصولية.

قال : كيف ذلك؟

قلت : كيف ذلك!.. يجب أن تعرف أن السعودية حكومة وشعبًا من أشد الحكومات والشعوب على الأفكار والأطروحات والمخططات لهاتين الحركتين.

قال : أوضح أكثر.

قلت : لأن الحكومة والشعب من أكبر الداعمين لمبدأ المقاطعة العربية والإسلامية لإسرائيل، ومن أكبر الرافضين للصلح كما تريده هاتان الحركتان، ومن أعظم وأكبر الداعمين للفهم والتفسير الصحيح للإسلام، وعدوك يعرف أكثر مني ومنك ومن كثير من المسلمين، أن هذا التفسير وهذا الفهم للإسلام هو السبب في عدم القضاء على المقاومة (الشرعية) في فلسطين وفي غيرها من البلدان الإسلامية (المحتلة) ـ أرجو أن تلاحظ ما بين الأقواس ـ وهو السبب في تبني الحكومة السعودية والشعب السعودي برامج ومشاريع تقاوم وتواجه مشاريع وبرامج ترويض الحكومات والشعوب الإسلامية للقبول بالكيان الإسرائيلي، وهو السبب في انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة وفي تحويل المجتمعات الإسلامية من مجتمعات مخدرة مستسلمة منقادة من قبل حكومات هاتين الحركتين إلى مجتمعات رافضة للاستسلام

مستقلة في القرار إلى حدٍّ ما غير مهرولة خلف أطماع هاتين الحركتين، وذلك عن طريق تسخير البترول السعودي لدعم هذا الفهم وهذا التفسير، وهذا ما رفعه أحد مستشاري البيت الأبيض (رالف) بعد أحداث ١١ سبتمبر وغيره من المستشارين ومراكز بحث وجمعيات ومنظمات ولجان فقد رفع مذكرة كان مضمونها (أن الحكومة السعودية والشعب السعودي سخروا البترول لدعم ونشر وبث فهمهم وعقيدتهم السلفية بين المسلمين... حتى إن الشعب الإندونيسي كان مستعصياً عليهم، لكن بأموال البترول شقوا الصف هناك واخترقوا الفهم السائد هناك فأنشأوا معاهد ومدارس ومراكز تدعو إلى عقيدتهم وفهمهم للإسلام)، وكما قلت سابقًا: إن عدوك يعرف مفعول العقيدة الصحيحة والفهم الصحيح للإسلام وأثره على الشعوب؛ فهم مدركون ومستوعبون بعمق تاريخ إندونيسيا القريب والمقاومة الشرسة للاستعمار الهولندي ممن ينتمون لهذا الفهم وتلك العقيدة، أكثر من الأفهام والعقائد الأخرى، ولهذا تجدهم لا يرون في المناهج الشرعية والدينية في إندونيسيا، خطرًا ولا يرون فيها بأسًا وليس عليها ملاحظة، وهذا ما توضحه تقارير وتصريحات لجان ومسؤولين في الحكومة الأمريكية الحالية، ففي الوقت الذي ينتقدون فيه المناهج والمدارس الدينية في السعودية وبعض

البلدان الإسلامية، تجدهم يثنون على مدارس ومناهج أخرى.

فقد انتقد وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) المدارس الدينية في العالم الإسلامي وقال: (إن على أمريكا تشجيع نظام تعليمي غير متشدد في العالم الإسلامي) ودعا إلى الأمر نفسه نائبه «بول وولفوتيز» في الأسبوع نفسه عن (صحيفة الشرق الأوسط ١٥/ ٩/ ١٤٢٤ هـ ٩/ ١١/ ٢٠٠٣م) ويقصدون نظاماً تعليمياً غير متشدد أي غير مدافع عن حقوقه وقضاياه، ولا يحث على المقاومة، بل ويحث على الاستسلام للمحتل والخضوع للمستعمر. وهناك تقرير صدر مؤخرًا عن وزارة الخارجية الأمريكية يقول: «ففي إندونيسيا التي تعتبر أكبر بلد إسلامي من حيث السكان مثلاً تبلغ نسبة الطلبة الذين يتوجهون إلى مدارس دينية حوالي ٢٥ ٪، إلا أن التقرير يقول: هذه المدارس قد ثبت من خلال تحليل مناهجها أنها تعتمد على فكر لا ترى فيه الإدارة الأمريكية مصدر خطر كبير) (عن صحيفة الشرق الأوسط ١٥/ ٩/ ١٤٢٤ هـ ٩/ ١١/ ٢٠٠٣م).

فلدى خصمك وعدوك معرفة دقيقة ودراسة عميقة لأثر العقيدة الصحيحة على المسلمين، والتي سخرت الحكومة السعودية جامعاتها ومراكزها ومؤسساتها

ومنظماتها العلمية والدعوية والتربوية لنشرها وبثها والدعاية لها، فكم رسالة ألفت في جامعاتها! وكم كتاب طبع على نفقتها، وكم فتوى خرجت من علمائها! وكم داعية محاضر في جميع أنحاء العالم على حسابها! وكم من مسجد ومركز ومؤسسة ومنظمة ولجنة قامت على الإنفاق عليها وعلى أكتاف شعبها وكم...! وكم...! فعدوك وخصمك يريد ترويض هذا المجتمع وهذه الحكومة الداعمين لقضايا الإسلام والمسلمين بكل ما أوتيا من أسباب معنوية ومادية. فمن الذي أسس منظمة المؤتمر الإسلامي بجميع مؤسساتها؟! ومن الذي أسس رابطة العالم الإسلامي بجميع لجانها وفروعها ودعمها وآزرها؟! ومثال على ذلك ما تقدم به هذه الأيام أعضاء في مجلس الكونجرس الأمريكي ومجلس الشيوخ إلى الحكومة الأمريكية، وذلك بسن قانون سموه «محاسبة السعودية» ويأتي المشروع مكملاً لمحاولات قوى متطرفة للنيل من استقرار المملكة، مركزًا بصورة خاصة على الدعم الذي تقدمه السعودية للشعب الفلسطيني وتمويل المعاهد الإسلامية في جميع أنحاء العالم، مطالبًا بوقف هذه المساعدات، وأشار مشروع القرار إلى تقارير متعددة صدرت في الولايات المتحدة ذكرت أن السعوديين قدموا أربعة مليارات دولار إلى الفلسطينيين منذ بدء الانتفاضة الثانية في

سبتمبر عام ٢٠٠٠ بالإضافة إلى ادعائه أن أغلب هذه الأموال ذهبت إلى حماس ومنظمات (الإرهاب الفلسطيني) ـ والصحيح منظمات المقاومة الفلسطينية المشروعة والمسلوبة حقوقها وأرضها وإنسانيتها وكرامتها ـ وكان مشروع القرار ضمن حيثياته ما وصفه «بمعلومات من مصادر إسرائيلية بأن نصف ميزانية الإرهابيين تأتي من السعودية ـ والصحيح المقاومين الفلسطينيين. وقال مشروع القرار: إن السعوديين أقاموا ومولوا «معاهد إسلامية» في أنحاء العالم، تنشر كتبًا بلغات مختلفة من شأنها نشر تعاليم تحض على (الكراهية الدينية والعقدية)، وذلك تكرار لأكاذيب اللوبي الإسرائيلي بأن نشر تعاليم الإسلام في ذاته حض على معاداة اليهود ومعاداة السامية ـ والصحيح أن نشر هذه التعاليم الصحيحة للإسلام يحض على عدم هيمنة برامج ومشاريع هاتين الحركتين الاستيطانية والاستعمارية للأرض والاقتصاد والفكر ـ ونص التقرير كذلك على إغلاق الجمعيات الخيرية والمدارس والمنظمات الأخرى والمعاهد في السعودية التي تدعم أو تدرب ـ أو تحرض أو تساعد الإرهاب والصحيح المقاومة المشروعة ومواجهة الغزو الفكري ـ في أي مكان في العالم إغلاقًا دائمًا.

وينص التقرير كذلك على إيقاف الدعم والتمويل السعودي للجمعيات الخيرية والمدارس وأي منظمات

أو معاهد خارج السعودية تقوم بتدريب أو تحريض أو تشجيع على الإرهاب في أي مكان في العالم ـ والصحيح أنها تشجع وتحرض على عدم الاستسلام والخضوع والخنوع لبرامج الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ـ وعدوك يريد أن يقوض هذا الشعب المناضل في وجه هيمنة هاتين الحركتين. ويريد عدوك قطع نفوذ ووجاهة هذه الحكومة لدى الحكومات العربية والإسلامية وذلك بتشويه هذه العقيدة الصحيحة وهذا الفهم الصحيح للإسلام تارة بربط هذه العقيدة وهذا الفهم بالإرهاب والعنف وكراهية الآخر والتفجير، وهذا هو مربط الفرس، وهذه هي زبدة هذه المقدمة.

قال : ماذا تقصد؟

قلت : أقصد التفجير.

قال : وضح أكثر؟

قلت : أقصد أن أي تفجير في السعودية هو أداة ضغط على الحكومة السعودية؛ لتستجيب لتلك التهم الملصقة بالعقيدة والفهم الصحيح للإسلام، فتقوم بالتغيير والتبديل والتحويل، عن رغبة منها أو عن رهبة وهو الصحيح ـ تحت الضغط الدولي بمنظماته ولجانه المنحازة، وتحت الضغط الإعلامي المنحرف والمسيس لهاتين الحركتين، وتحت ضغط عملاء

محليين وإن كان الأمر في السعودية يختلف، فغالبهم عملاء بالبلاهة والبلادة لا عن قصد العمالة، وأذكر كلمة كتبها الكاتب «فهمي هويدي» عن هذه الأبواق، قال: «... أجواء الانكسار والهزيمة بعد احتلال العراق فتحت الباب على مصراعيه للهجوم على الانتماء العربي ـ الإسلامي والسخرية من مفهوم الاستقلال وتسويغ فكرة السيادة المنقوصة التي هي من مستلزمات عصر العولمة، كما أنها أصبحت دعوات لتسويغ التدخل الأجنبي والترحيب بالقواعد العسكرية الأمريكية ودعوات أخرى لاستهجان فكرة الأمة والهوية والخصوصية، وموقف رفض الغزو الثقافي، ورفض التطبيع مع إسرائيل، وليس ذلك فحسب؛ وإنما ظهرت في بعض العواصم العربية شعارات تنادي: «نحن أولاً» التي لم تكن سوى ترجمة لمعنى «نحن فقط ولا شأن لنا بأشقائنا»... كما قرأنا لمن شوّه وحاول هدم صورة حركة حماس في فلسطين، والتي تمثل أهم إضاءة مشرقة في العالم العربي المعاصر...

إذا وضعنا هذه الدعوات والأفكار جنبًا إلى جنب فسنجد أنها تتضمن ترويجًا للفاحشة السياسية، وكفرًا بكل القيم الشريفة في العالم العربي، وستجد أن من شأن الأخذ بها أن يتحول العالم العربي إلى ساحة مليئة بالأنقاض، وخالية من عناصر القوة والعافية،

وهو أمر يدعو إلى الارتياب والشك، ولكن الغموض الذي يكتنف المشهد لا يلبث أن ينقشع إذا ما استدعينا كلام وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) في صحيفة نيويورك تايمز، الذي تحدث فيه عن شنٍّ (معركة العقول) و(حرب الأفكار) التي تستهدف تغيير مدارك العرب والمسلمين، ودعا إلى ضرورة كسب تلك المعركة، وعدم الاكتفاء بالاعتماد على القوة العسكرية وحدها، والأمر كذلك، فلعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن «الجمرات الخبيثة» التي تروج لها بعض الكتابات في أجواء الهزيمة المخيمة ليست قذائف تلقى حيثما اتفق؛ لأنها في نهاية المطاف تصب في وعاء (حرب الأفكار الأمريكية) التي يراد بها تكريس هزيمة العربي وتركيعه... لذا وجب التنويه» (صحيفة الشرق الأوسط ٢/ ١٠/ ١٤٢٤هـ).

فنعود إلى بداية هذه النقطة ونقول: إن التفجيرات في السعودية أداة ضغط على الحكومة السعودية؛ لتستجيب لتلك التهم الملصقة بالعقيدة الصحيحة والفهم الصحيح، فتقوم بالتغيير والتبديل والتحويل؛ ستحصل المناهج التعليمية والتربوية والدعوية النصيب الأكبر منه، ولهذا تجدهم كثيرًا ما يندددون بالمناهج الدراسية السعودية وكذلك المناهج والمناشط الدعوية والعلمية؛ لأنها تكرس هذه العقيدة وهذا الفهم في الشعب، والذي بدوره يساهم في الوقوف والدعم

لإخوانه المسلمين المضطهدين والمحتلة بلادهم والمسلوبة حقوقهم معنويًا وماديًا وجسديًا، وهذه المعلومة يعرفها عدوي وعدوك وعدو الحكومة أكثر مني ومنك، وأستثني الحكومة «فلا يحس بالجمر إلا واطيها» فلدى عدوك أرقام ودراسات وإحصائيات وقراءات تاريخية واجتماعية توضح وتبيِّن مدى مفعول هذه العقيدة الصحيحة وهذا الفهم الصحيح للإسلام وإلى أيِّ مدى نفعها وأثرها على المدى البعيد، ولهذا تجدهم راضين وداعمين لبعض المناهج التعليمية لبعض الحكومات والشعوب الإسلامية، فالأفكار لها مفعولها في الشعوب، والعقائد لها أثرها في الحروب، فالاتحاد السوفيتي سقط عقديًا، وأسقطته الأفكار الغربية لا الترسانة الحربية؛ فقد كان يملك أضخم ترسانة عسكرية على وجه الأرض لكن الحرب كانت من نوع آخر، فعدوك يعرف أثر الأفكار في قلب الحكومات وإسقاط الملكيات ولهذا كانت (حرب الأفكار) و(معركة العقول) من مشاريع الحكومة الأمريكية وبرامجها، كما صرح بذلك وزير الدفاع (رامسفيلد) في صحيفة نيويورك تايمز - كما أسلفنا.

قال : قد أقتنع بكثير من هذه المؤامرة لكن أرجو ألا تكون ممن يطلب مني أن أصدق بأن خلف هذه التفجيرات هاتين الحركتين!

قلت : نعم في الحقيقة أنا منهم، ونصيحتي لك بدلاً من أن تطلب من الآخرين بأن يكونوا أو لا يكونوا، أن تطلب منهم أن يقدموا الحقائق والأدلة على دعواهم، فهذا الطلب أكثر علمية وعقلانية وموضوعية من ذلك، فأنا سأذكر لك اعترافات وأظنك تفرق بين الاعتراف والاكتشاف ـ فالأول أقوى في الدلالة ولهذا يطلق: عليه في علم التحقيق والقضاء بأنه (سيد الأدلة) ـ فهذا الاعتراف يوضح ويبين توغل مخابرات هاتين الحركتين في كثير من هذه الجماعات المسلحة وتوجيهها عن بعد، وخاصة في الأعمال التي يصعب فهم دوافعها ويتحير المسلم في تفسيرها تفسيرًا يتماشى مع شعار الجماعة وهو الجهاد في سبيل الله، مثال على هذا تفجيرا الرياض الأخيران واللذان حصلا في «مجمع المحيا السكني وفي مبنى الأمن»، وغير ذلك من التفجيرات في البلدان الإسلامية (غير المحتلة) ـ ومرة أخرى لاحظ ما بين الأقواس.

قال : هات الاعترافات التي عندك.

قلت : هي كثيرة. من ذلك فقد كشف مصدر أمريكي قريب الصلة من وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA لمجلة «المجلة» أن عملاء الوكالة تغلغلوا داخل منظمات إرهابية كثيرة، وأن هذا لم يحدث من قبل. وقال: إن التغلغل داخل المنظمات الإرهابية ليس كاملاً وإلا

كنا اعتقلناهم كلهم أو قتلناهم كلهم، لكننا تغلغلنا إلى درجة أصبحنا نقدر على معرفة اتجاهاتهم وتحركاتهم. (مجلة «المجلة» ٧/ ٤/ ١٤٢٤ هـ).

أما عن مخابرات الحركة الصهيونية فيقول محمد بسيوني السفير المصري السابق لدى إسرائيل ورئيس لجنة الشؤون الخارجية والأمن القومي بمجلس الشورى المصري نقلاً عن «موشيه ساسون» السفير الإسرائيلي بالقاهرة، حيث دون الأخير الكثير من مغامراته في الواقع المصري وعلاقاته التي أقامها مع عدد من المصريين التي تتنافى في طبيعتها مع صفته الدبلوماسية فقد دون أنه أقام علاقة مع رجل مصري اسمه «فؤاد الإسكندراني»، وهو صاحب محل أثاث بميدان التحرير بالقاهرة، وتطورت العلاقة بينهما إلى حد أن «ساسون» كان يستخدم حجرة داخلية في محل الإسكندراني ليلتقي فيها بأفراد ليقنعهم بحق إسرائيل في الوجود، وكان «الإسكندراني» يسهل له هذه المهمة، ويرتب له اللقاءات ويتصل به ليبلغه بمواعيدها إلى درجة أن السفير الإسرائيلي الأسبق كان يلغي بعض مواعيده وارتباطاته، ويتجه فورًا إلى ميدان التحرير لمقابلة فؤاد عندما يطلبه. وحكى في مذكراته قصة لقائه وتعارفه داخل محل فؤاد بأحد الشباب الملتحين المتطرفين ـ على حد قوله ـ والذي حاوره وأقنعه في النهاية بحق إسرائيل في الوجود،

ويروي أيضًا أن لقاءاته بهذا الشاب قد تواصلت مرات عدة في السفارة، وفي منزل السفير.

قال : قبل أن تكمل هذا لا يمكن أن يحصل لأقل المسلمين إيمانًا بأن يقبل بحق إسرائيل في الوجود فضلاً عن أن يحصل بين أفراد الجماعة الجهادية.

قلت : وهل تتوقع أن هذا الملتحي في اعتقاده الجديد بحق إسرائيل أنه بقي على إيمانه الصحيح؟! هذا لا يمكن! لكن (المال) قادر على التحويل والقلب والمسخ، ويأتي في المرتبة الثانية الترهيب والتهديد وبما أننا قد وصلنا إلى هذه النقطة فسأذكر لك أدلة على استخدام هذه المخابرات لهذين الأسلوبين.

نعم نكمل أولاً قصة هذا الرجل الملتحي.

فهذا الشخص الملتحي لا بد أنه تحول إلى جاسوس وعميل للسفارة الإسرائيلية على الجماعات المسلحة وقد يصل إلى توجيهها والتغيير في مسارها وإمدادها بالسلاح، ومثال على ذلك، تحت عنوان «مد المتطرفين بالسلاح» ذكرت مجلة «المجلة»: اعترافات الدبلوماسيين الإسرائيليين السابقين في القاهرة عن دورهم المشبوه؛ يقول «استروفسكي» الذي عمل بالسفارة الإسرائيلية في مصر وله كتاب بعنوان «الجانب الآخر من الخداع»، وهذا الكاتب ـ الذي هو من أصل كندي ـ اعترف في كتابه بأن مهمته

خلال وجوده في مصر كانت ترتبط بزعزعة السلطة والحكم وقلب نظام الحكم الديموقراطي وإعادة مصر للوراء قدر المستطاع، ولذلك ـ وكما يقول «استروفسكي» ـ قام بتجنيد عدد من المتطرفين لهذه المهمة وأمدهم بالسلاح عبر وسطاء من بدو سيناء (مجلة «المجلة» ١٦/٦/١٤٢٤ هـ) وهناك أمثلة على هؤلاء الوسطاء كما في هذه القصة فقد قبضت مباحث مركز شرطة طامية في مصر على شخص اسمه (زكريا التوني) يعيش في مزرعته بعد بلاغات تبين من خلالها أن بعض أعضاء جماعة الجهاد يترددون عليه بشكل مستمر... وأثناء القبض عليه قاوم رجال المباحث ورفض أن يقوموا بتفتيش المنزل وكانت حجته في المقاومة أنه مواطن يحمل الجنسية الأمريكية وقال: «... لازم أتصل بالسفير... مفيش واحد يقدر يفتش بيتي إلا بعد إذن السفير الأمريكي... أمريكا بتديكم كل حاجة... اللي بتعملوه ده هيتسبب في أزمة سياسية» لكن رجال المباحث قاموا بتفتيش المنزل وعثروا على كمية كبيرة من الأسلحة... وقد حضر مسؤول من مكتب الملحق العسكري الأمريكي بالسفارة الأمريكية مجريات التحقيق، ومن السفارة الأمريكية أيضًا جاء طلب رسمي للجنة المختصة بالتحقيق بموافاتها عن ملابسات وظروف اتهامات (زكريا التوني) فالرجل يحمل جنسية أمريكية مع أن

شروط الجنسية الأمريكية لا تنطبق عليه فهو مكث في أمريكا ثماني سنوات والقانون يشترط عشر سنوات متواصلة دون انقطاع أو الارتباط بزوجة أمريكية، وهو ما لم يحدث بالنسبة لهذا الشخص، فالأمر فيه ريبة.

وهذا الشخص يدعم تسليح بعض الجماعات المسلحة، وهو ليس منهم، ولا يمت لفكرهم بصلة، بل كما أثبتت التحقيقات معه أنه متهم واعترف بهذه التهمة أنه يمارس الشذوذ الجنسي مع قلة من الشباب الذين يأتون إليه بعدما يخرج أعضاء الجماعة المسلحة. إ.هـ. من كتاب (أمراء ومواطنون، تأليف: نبيل شرف الدين، ص ٢٥٣).

ومن الأمثلة على أولئك الوسطاء الذين جندهم السفير الإسرائيلي في مصر للتغلغل في داخل الجماعات المسلحة أن عمدة قرية الشيبة في عام ١٩٧٣م قد قبض على اثنين من جماعة التكفير والهجرة على اعتقاد أنهما من جواسيس إسرائيل، وقد ردت الجماعة باعتقال خفيرين كرهينة مقابل إطلاق سراحهما وعندما أخذ شيخ الخفر قوة معه لتحرير الخفيرين، انهال الرصاص على القوة من كل جانب، واضطر إلى الاستعانة بسلطات الأمن، التي حاصرت الجبل وقبضت على عشرة أفراد من التنظيم، وأحيلوا

إلى النيابة للتحقيق. من كتاب: (جماعات التكفير في مصر للدكتور عبدالعظيم رمضان).

وهنا اعتراف آخر يصدر من أحد قادة الجماعات المسلحة في مصر، يبين اختراق عملاء الحركة الصهيونية لهذه الجماعة وتوجيهها عن بعد.

وفي هذا يحكي المحامي المصري منتصر الزيات (محامي الجماعات الإسلامية) عن رسائل كانت تصله من كوادر مهمة داخل جماعة الجهاد، يقول:

«ولم تكن تلك الرسالة الوحيدة التي وصلت إلي من كوادر مهمة داخل تيار الجهاد وإنما سبقتها محاولة أخرى من محمد نصر الدين الغزلاني القيادي في جماعة الجهاد في الجيزة، والذي كان يحاكم عام ١٩٩٨ في قضية خان الخليلي وحكم عليه فيها بالأشغال الشاقة خمسة عشر عامًا ولكنني اعتذرت إليه بعدم استطاعتي الترويج لندائه رغم صلتي الوثيقة به وسعيي إلى طرح وجهة نظره المتوافقة مع أطروحاتي في تلك الفترة والتي واكبت مبادرة الجماعة الإسلامية. كانت وجهة نظري تقوم على أن الظواهري هو أمير جماعة الجهاد ولأنه لم يتخذ قرارًا مؤيدًا لتوجه سلمي فإنه عليّ ألا أخوض في أمر يخص تنظيمه ما دام لم يطلب مني الاضطلاع بدور في ذلك المجال والمهم في الأمر أنني فوجئت أثناء

إحدى جلسات المحكمة العسكرية في قضية خان الخليلي بالغزلاني يلقي كلمة هذا نصها «بالنسبة للشق العام في هذه القضية فإني أنضم لكل ما طرحه أستاذي منتصر الزيات أمام الهيئة الموقرة بجلسة ١٩٩٧/٩/٢٢م وأتفق معه في كل كلمة قالها وأدعو الله تعالى أن يكلل جهوده وفريق المخلصين معه بالنجاح والتوفيق، تلك الجهود التي تهدف إلى وأد الفتنة وإخماد لهيبها. تلك الفتنة التي أشعل جذوتها أعداء هذه الأمة بين الدولة وقطاع من أبنائها، إن الصهيونية العالمية وهي أبرز وأنشط أضلاع ثالوث التآمر العالمي ضد أمتنا العربية والإسلامية ليست بعيدة عن الفتنة في مصر فوراء كل تدمير وخراب أيدٍ صهيونية خبيثة تشعل وتغذي نيران تلك الفتنة وتؤجج لهيبها».

وأضاف الغزلاني مخاطبًا رئيس المحكمة: «سيدي الرئيس، رغم أن اليهود رسميًّا في حالة سلام مع مصر إلا أنهم لم يكفوا يومًا عن العداء لمصر واستهداف شبابها، اليهود يريدون أن يضربوا مصر في حاضرها ومستقبلها، يريدون أن يضربوا مصر في سرّ قوتها ونهضتها، في شبابها، فالشباب عماد كل حضارة وسر كل تقدم».

ثم استعرض الغزلاني في مرافعته أمام المحكمة

العسكرية ثلاث حوادث عنف يرى أن الدور اليهودي فيها كان واضحًا وقال: «الحادثة الأولى انفجار مقهى وادي النيل، والحادثة الثانية انفجار نفق الهرم، والحادثة الثالثة محاولة اغتيال الدكتور عمر بن عبد العزيز الأستاذ بجامعة الأزهر وتفجير سيارته بمنطقة القللي» وأشار إلى أن عمر بن عبد العزيز الذي فجرت سيارته اتهم في أقواله بالتحقيقات اليهود، وبرر ذلك بأنهم يريدون إحداث فتنة بين الشباب في مصر». (من كتاب أيمن الظواهري كما عرفته لمنتصر الزيات، ص١٤٧.١٤٩).

فهذا اعتراف من شخص ما زال مسجونًا وصاحب خبرة في العمل المسلح وهنا سؤال يقول:

إذا كان هذا التحويل والتجنيد في مصر وهي على اتفاق سلام مع إسرائيل فما بالك بالسعودية وشعبها الرافضين للتطبيع والداعمين للمقاومة الإسلامية في فلسطين؟!

قال : ما رأيك أن أذكر لك أمثلة على استخدام المخابرات للعملاء إما عن طريق الترغيب أو الترهيب.

قال : في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠٠٣/١١/٩ تحت عنوان «الموساد نجح في تجنيد ضباط هولنديين للتجسس على سوريا وعلى الفلسطينيين»: كشفت معلومات نشرت في هولندا أن جهاز الاستخبارات

الإسرائيلي «الموساد» نجح على مدى سنوات طويلة في تجنيد عدد من الضباط الهولنديين العاملين ضمن قوات تابعة للأمم المتحدة بالعمل لحساب إسرائيل والتجسس على دول أخرى، واستخدم الموساد الإسرائيلي في ذلك طرق التهديد بإفشاء أسرار خاصة بهؤلاء الضباط في حالة رفض التعاون معهم، وهذا ما أظهره كتاب جديد ظهر في الأسواق الهولندية يتناول مهام القوات الهولندية تحت مظلة الأمم المتحدة خلال فترة ما بين عام ١٩٥٦م وعام ٢٠٠٣م وقالت صحيفة «بارول» الهولندية اليومية إن مؤلف الكتاب ويدعى «آرثر تينكاتي» قد ذكر أسماء اثنين من الضباط الهولنديين عملا لفترة لصالح الموساد الإسرائيلي خلال عملهما مع القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة.

وأشار الكاتب إلى أن الموساد حصل من ضابط هولندي على معلومات متعددة حول أماكن قواعد صواريخ في سوريا، وكذلك حول المنظمات الفدائية الفلسطينية في الأردن، وقال مؤلف الكتاب: إن الضابط الهولندي قد تم تجنيده لصالح الموساد عن طريق طبيب بيطري إسرائيلي، أما الرجل الثاني الذي نجح الموساد في تجنيده للعمل لحساب إسرائيل فقد تزوج من امرأة إسرائيلية وكانت تعمل في جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، وشارك في عدة عمليات

تجسسية لصالح إسرائيل (صحيفة الشرق الأوسط ١٥/٩/١٤٢٤هـ).

ومما يدل على ذلك أيضًا ما يقوم به مركز الدراسات الأكاديمية الإسرائيلي في القاهرة من عمل استخباراتي فقد نشرت مجلة «المجلة» في عددها (١٢٣٠) ١٣/ ٩/ ٢٠٠٣م الموافق ١٦ رجب ١٤٢٤هـ. هذه الشهادات التي توضح هذا الأمر وتؤكد هذا الاختراق من قبل عملاء الداخل:

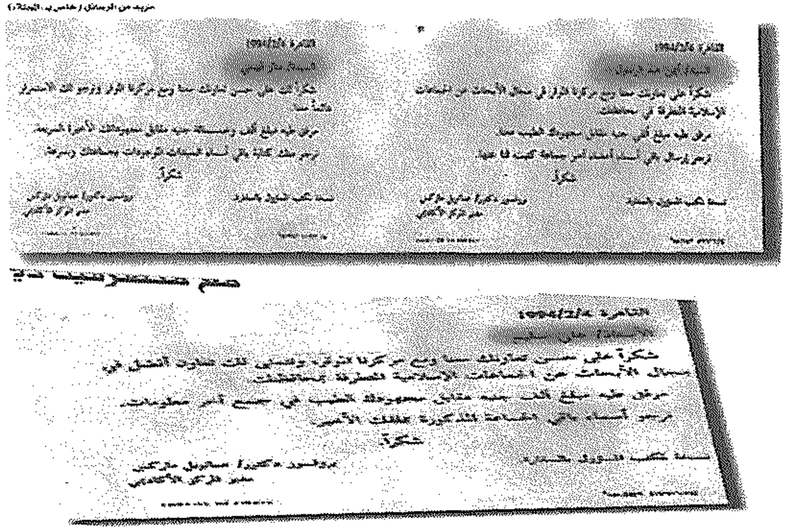
شكراً

شكراً

شكراً

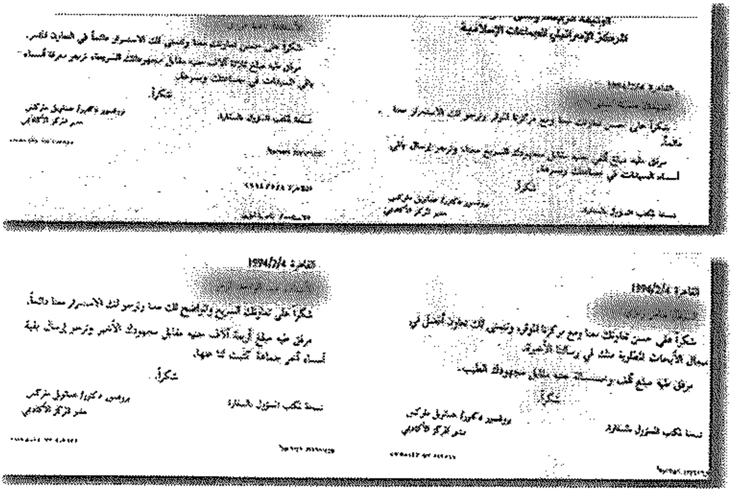

وختامًا: خلاصة القول إن لسان حال الحركة الصهيونية المسيحية يقول للسعودية حكومةً وشعبًا: (عقابًا لكم وردعًا لأمثالكم).

قد تقول يا شيخ إن هذه النماذج في مصر، وهي حالة خاصة، فمن أين لك القياس عليها، ومن أين الدعوى بأن المستعمر يريد تكرار التجربة في السعودية؟

الجواب: إن التاريخ يشهد بتكرارهم للتجربة وإعادة الملف نفسه وهذا الذي يجعلنا نقيس على الحالة المصرية.

فمن الأمثلة ما ذكره محمد أسد في كتاب (هجرة صحفي أوروبي إلى جزيرة العرب)، فقد تحدث عن رحلة له برفقة رجل نجدي إلى الكويت يدعى (زيد)، التقيا فيها بتاجر أسلحة نجدي يدعى (بندر)، وقد تحدثا (أي بندر وزيد) عن نية قلة من الإخوان في حرب عبد العزيز آل سعود وكان مما قيل:

زيد: ولكن ما قولك في حركة السلاح، يا بندر؟ يبدو أن هنا عملاً كثيراً،

لا سيما وأن فيصل الدويش وضيدان بن حثلين وأنصارهما راغبون في محاربة ابن سعود.

بندر: لقد كان العمل كثيراً في الماضي فحتى بضعة أشهر خلت، كنت أربح مالاً وفيراً من شراء البنادق من شرق الأردن وبيعها لرجال الدويش. أما الآن فقد انتهى كل ذلك. انتهى بالكلية. إنك لا تستطيع أن تبيع بندقية واحدة الآن.

زيد: وكيف ذلك؟ الذي أعتقده أن الدويش الآن بحاجة إلى هذه البنادق أكثر من أي وقت مضى.

بندر: نعم، هذا صحيح. ولكنه يحصل عليها بطريقة لا

يمكن لشخص مثلك أو مثلي أن يبيعها به. إنه يحصل عليها في صناديق من وراء البحار، بنادق إنكليزية تكاد تكون جديدة لم تمس، ويدفع عشرة ريالات في كل بندقية معها مئتا طلقة.

بندر مستغرباً: «سبحان الله... عشرة ريالات لبندقية جديدة، وفوقها مئتا طلقة. ولكن ذلك مستحيل». والحق ـ والكلام هنا لمحمد أسد ـ أن ذلك بدا مستحيلاً، ذلك أن البندقية المستعملة من طراز «لي انفليد» كانت تباع في نجد في ذلك الحين بمبلغ يتراوح بين ثلاثين وخمسة وثلاثين ريالاً، دون ذخيرة وحتى لو كانت الأسعار في الكويت أدنى منها في نجد، فإن الفرق الكبير لم يزل موضع الاستغراب غير قابل للتعليل.

يرد بندر وهو مبتسم: يبدو أن للدويش أصدقاء أقوياء. أصدقاء أقوياء جداً. ويقول بعضهم: إنه سيصبح ذات يوم أميراً مستقلًا في شمال نجد.

هنا يتدخل محمد أسد ـ وقد عرّفه زيد على أنه تاجر تركي ـ قائلاً: إن ما تقوله يا بندر جيد وحسن، فلربما استقلّ الدويش فعلاً عن ابن سعود، ولكنه لا مال لديه، وحتى الإسكندر نفسه ما كان يستطيع أن يشيد لنفسه ملكاً من غير مال.

رد بندر مقهقهاً: المال؟ إن لدى الدويش كثيراً منه. كثيراً من الريالات الجديدة التي تأتيه معبأة في صناديق، كالبنادق من وراء البحار. قلت (أي محمد أسد): صناديق من الريالات؟ ولكن هذا غريب جدًّا. من أين يستطيع بدوي أن يحصل على صناديق من الريالات الجديدة؟

بندر: ذلك ما لا أعرفه. ولكني أعرف أنه في كل يوم تقريباً يتسلم بعض رجاله الريالات الجديدة التي تصلهم عن طريق بعض التجار في الكويت وأمس القريب رأيت فرحان بن مشهور، يشرف في الميناء على إنزال هذه الصناديق[١].

ويتابع محمد أسد في موضع آخر ـ وقد كان يتحدث عن سلسلة مقالاتٍ له ـ: (فقد بينتُ ـ لأول مرة ـ أن الثوار[٢] كانت تعضدهم دولة أوروبية كبرى [*]، كما أشارت إلى أن الغاية الرئيسية من هذه الدسائس والمؤامرات إنما كانت لإرجاع حدود ابن سعود نحو الجنوب، وتحويل مقاطعته في أقصى الشمال آخر الأمر إلى «ولاية مستقلة» بين المملكة العربية السعودية والعراق، مما يمكن البريطانيين من بناء خط حديدي عبر أراضيها.

---

(١) هجرة صحفي أوروبي إلى جزيرة العرب، محمد أسد، ص ١٥٩ ـ ١٦٠، بتصرف يسير.

(٢) يعني فيصل الدويش وسلطان بن بجاد.

(*) تقول د. مضاوي بنت حمد الناصر الهطلاني في كتابها (مدينة الرياض)، مكتبة العبيكان، ص١٢٤: (وقد انتهى هذا التمرد بدخول الدويش في حماية الحكومة البريطانية فاحتجت الرياض خاصة وأنه تأكد لديها أن المتمردين كانوا يحصلون على مؤن وذخائر من الكويت وعقب هذا الاحتجاج عقد اجتماع في الرقعي بين عبد العزيز وبريطانيا التي كانت قد قررت إعطاء الدويش حق اللجوء السياسي قبل عقد الاجتماع)، وعزت المؤلفة ذلك إلى وثائق بريطانية بحوزتها هي:
India Office Library And Records R/15/5/34 P 75. From: FAISAL BIN SULTAN AD-DAWISH TO: POLITICAL AGENT KUWAIT, DATED 8TH NOV.1929/6 JAMADI 2 1348.

وبالإضافة إلى هذا، فإن ثورة الدويش أتاحت وسيلة رحب بها الإنكليز لإشاعة قدر من الفوضى والاضطراب في مملكة ابن سعود بحيث يصبح في وضع لا يتمكن معه ـ كما فعل حتى ذلك الحين ـ من مقاومة مطالب بريطانيا في الحصول على أمرين مهمين: أحدهما استئجار ميناء رابغ على البحر الأحمر، حيث أراد الإنكليز منذ زمن طويل إنشاء قاعدة بحرية فيه. وثانيهما السيطرة على ذلك القسم من الخط الحديد الحجازي الممتد من دمشق إلى المدينة النبوية والذي يسير عبر أراضي المملكة العربية السعودية؛ وإذن فإن هزيمة ابن سعود على يدي الدويش كان من شأنها أن تنقل هذين المشروعين إلى حيز الإمكان العملي، ولكن الله شاء غير ذلك)[١].

قد تقول: كيف صار اختياري الفقهي مساهماً في خلخلة سيادة الدولة على (المنطقة الشرقية)، وكيف صار داعماً لزعزعة مُلكية المنطقة الثرية بالبترول؟

الجواب: يتبين ذلك من خلال معرفتنا واعتقادنا بأن خلخلة السيادة وزعزعة الملكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق خلخلة العقيدة، أو ما يسمى بـ (الإيديولوجيا السياسية) التي قامت عليها هذه السيادة والملكية. ومعذرة يا شيخ أن أقول إن اختيارك الفقهي يصب في مشروع خلخلة عقيدة أهل المنطقة خاصة، وعقيدة أهل الجزيرة العربية عامة، في حماية منطقتهم من أي تدخل خارجي، وهذه الحماية قامت على كون هذه المنطقة من (جزيرة العرب)

(١) هجرة صحفي أوروبي إلى جزيرة العرب، محمد أسد، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

ويجب أن تكون لها خصوصيتها من حيث الدين والنفوذ والسياسة والسيادة والأخلاق والفضيلة. فعلى هذا يجب أن لا تخترق هذه القيم ولا تحرق صفحاتها من الكتب المنهجية القائمة على تعبئة المجتمع على التمسك بها والعض عليها بالنواجذ. فإحراقها واختراقها هو إحراق لصفحات تاريخ أمة ضحت بدمائها وأنفقت أموالها لتحرير (المنطقة الشرقية) من النفوذ الأجنبي الكافر أو المبتدع الضال، واختراقها اختراق لإنجازات موحد هذه الجزيرة الملك عبد العزيز وتشويهها، وقد سبق لهذا الموحد ومعاونة ذاك العالم سليمان بن بليهد ـ رحمهما الله تعالى ـ استخدامهما لهذه العقيدة وهذا المفهوم لخصوصية الجزيرة لرد أطماع بريطانيا في خلخلة سيادته على الحجاز.

وإحراق واختراق هذه الصفحات من المناهج التعليمية هو إحراق لصفحات من المفاخر التي خص الله بها الجزء الأكبر من الجزيرة العربية (السعودية) وهذه المفخرة هي سقوط برامج التغريب ومشاريع الرذيلة والفجور والزندقة والإلحاد والكفر والتنصير على عتبات الجزيرة العربية، وبفتوى علماء أفذاذ وبتنفيذ حكام أعزاء. وقد سبق بيان ذلك من خلال تقارير منظمات التنصير في الخليج العربي؛ فنجد في شرح هذه التقارير لعقبات التنصير ومنغصات المنصِّرين عبارة (السعودية ـ والسلفية الوهابية).

واختراق هذه العقيدة وإحراق صفحاتها من المناهج التعليمية والكتب التربوية هو طعن لجهود واجتهاد علماء من خارج الجزيرة أسهموا بجهودهم وقاوموا باجتهاداتهم لحماية

(الجزيرة العربية) ـ وبالذات السعودية ـ من مخططات الأعداء في خلخلة دينها الصحيح وزحزحة عقيدتها الصافية ونقض توحيدها الخالص وذلك بدعوى حرية الأديان وحرية الأفكار والعقائد والملل والطوائف وبدعوى بناء الكنائس والمعابد. فمن الجهود القادمة من الخارج التي يخشى أن تطعن من الداخل ذلك الاجتهاد الخارجي في التعبئة لأجل حماية (الجزيرة العربية) والتي يخاف عليها أن تخمد من الداخل.

فقد أصدر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بياناً في جلسته المنعقدة برئاسة فضيلة شيخ الأزهر في القاهرة بتاريخ العاشر من أكتوبر عام ٢٠٠٠م حول التصريحات الصادرة عن الكردينال (بيفي) أسقف (بولونيا) وغيره من مسؤولي الكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا والفاتيكان ضد المسلمين التي تطالب ببناء كنائس في السعودية وقد تضمن ذاك البيان ما نصه:

(التأكيد الحاسم بأن الجزيرة العربية، وقلبها المملكة العربية السعودية هي الحصانة الجغرافية لعقيدة الإسلام، لا يجوز شرعاً أن يقوم فيها دينان، ولا يجوز أن يشهر على أراضيها غير دين الإسلام، كما تستنكر هيئة رئاسة المجلس العودة إلى المطالبة ببناء كنائس على أرض السعودية بعد أن حُسم هذا الأمر سابقاً في حوار مطوّل مع الفاتيكان عبر اللجنة الإسلامية العالمية للحوار واتفق على إغلاق هذا الملف وعدم إثارته ثانياً)[١].

---

(١) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، أ.د صالح بن حسين العايد، دار إشبيليا للنشر: الرياض، ص٨٤.

ومن تلك الجهود المبذولة ذات الهمة العالية، وصورة من صور تحمل العالِم مسؤوليته أمام الله وأمام المسلمين وأمام التاريخ، مخاطبة الشيخ السيد أبو الحسن الندوي لأمير الكويت في سياق كلمته في الكويت فقال: الحذر من قيام المعابد لغير المسلمين في أرض هذه الجزيرة التي ولاكم الله أمرها واستخلفكم فيها، فإن وجود هذه المعابد في هذه الجزيرة التي أوصى رسول الله ﷺ بتجريدها للإسلام والمسلمين وعقيدة التوحيد الخالصة وعبادة الله وحده التي جاء بها الإسلام وإخلائها من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب فضلاً عن عباد الأوثان، وقد صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلماً» وقال في آخر كلامه في الدنيا: «لا يبقين دينان على أرض العرب» وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان». ووجود هذه المعابد خطر على سلامة هذه البلاد، فإن أهلها يطالبون بحمايتها ويستغلون وجودها، فتنشأ مشاكل يعجز العقلاء عن حلها)(١).

ونحو ذلك خاطب الندوي رحمه الله الأمير فهد بن عبد العزيز (قبل توليه الملك) قائلاً: (وبسبب ضعف الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأثير المدنية الغربية وقيمها من غير

(١) خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء، سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير: دمشق، ١٤٢٣هـ، ص ٤١.

نقد وتمحيص، وبتأثير الصحف والمجلات الرقيعة والروايات المثيرة للغرائز التي تنصب على هذه المملكة منذ زمن طويل، رغم جهود الغيورين من المسؤولين ورغم كراهيتكم لها وتوجيهاتكم السامية إلى مراقبتها، وقد قضى الله أن تكون هذه الجزيرة حرماً للإسلام وحمى له، وأوصى بذلك رسول الله ﷺ فيما أوصى به في آخر عهده بالدنيا فقال: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان» وقال: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب». وعدم اجتماع دينين وإخراج اليهود والنصارى من هذه الجزيرة الذي أمر به الرسول ﷺ يحمل أبعاداً ومعاني أوسع مما يبدو ظاهراً من اللفظ)[1].

ومن تلك الجهود المبذولة وهي نموذج من نماذج تحمُّل العالِم الأمانة التي وضعها الله على عاتقه في حماية العقيدة الصحيحة وحماية الأرض الإسلامية، وهذه النماذج تحمل في طياتها تعبئة للجماهير ضد الاختراق العقدي والذي هو طريق الاختراق السيادي والسياسي؛ ما قام به الشيخ مقبل الوادعي في اليمن في رده على تصريحات السعودي المنشق محمد المسعري التي أدلى بها لنشرة شهرية تصدر في لندن اسمها (مسلم نيوز)، إذ قال المسعري: إن الوضع الحالي في السعودية لا يسمح للمسيحيين واليهود بممارسة شعائر العبادة علناً سيتغير عند مجيء اللجنة إلى الحكم، وأضاف إنه يجب منح الأقليات حقوقها بما فيها حقهم في ممارسة شعائرهم وفي إبرام عقود الزواج وفقاً

(١) المرجع السابق، ص ٥٦.

لشعائرهم الخاصة، وما إلى ذلك إضافة إلى حرية يعيشون فيها حياتهم الدينية الشخصية بالكامل سواء أكانوا يهوداً أم مسيحيين أم هندوساً، وقال: إن إقامة الكنائس مباحة في الشريعة الإسلامية» انتهى[١]؛ فرد عليه الشيخ مقبل الوادعي: «فهذا كلام هذا السفيه المسعري، وإليك حديث رسول الله ﷺ: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» ويقول: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب». وقول الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة: ١٢٣]. فهذا هو السفيه المسعري الذي يصدر توجيهاته لشباب هابط التوعية، أفمثل هذا السفيه الجاهل تقبل توجيهاته؟ وتُترك توجيهات الشيخ ابن باز، وتوجيهات الشيخ ابن عثيمين والشيخ الألباني، وغيرهم من العلماء)[٢].

نصيحة أخيرة للشيخ

ختاماً نرجو منك يا شيخ أن تكون مفتاحاً للخير على المنطقة، مغلاقاً للشر فيها، وأن لا تكون ممن يقول ما دام الأمر حاصلاً وصائراً فليكن عن اختيار فقهي فهذه حجة من لا يعرف

(١) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب، مقبل بن هادي الوادعي، صنعاء: دار الآثار، ١٤٢١هـ، ص ٢٨٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

مفعول الشريعة وأثرها على السلم والأمن والاستقرار العقدي والأخلاقي والسيادي والسياسي، وكلام من لا يعرف قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالفلاح هنا شامل لجميع الأصعدة، ومتضمن لجميع شؤون الحياة الدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وفي السيادة. وهذه عبارة من لا يعرف حديث النبي ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)[١]، وحديث (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم، حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً)[٢].فنرجو منك يا شيخ أن تتميز عن أصحاب هذه الحجج المخالفة كما ميزك الله عنهم في العلم وجعلك من ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله مباركين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٨٣، ١٨٤، ١٩١)، وكذا الطيالسي (٢٠٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد ٤٧٩. (وقال الألباني: هذا سند صحيح على شرط مسلم، السلسلة الصحيحة (١/ ٣٨)، ديث (٩).

(٢) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، (٢/ ٩٣٨)، حديث (٥٣٠٤).

الفهرس التفصيلي

المقدمة ٥
تقديم بقلم د. حسن بن فهد الهويمل ٧
سؤال: ما الخطأ الفقهي المتضمن إخراج (المنطقة الشرقية) من مسمى الجزيرة العربية؟ ١١
عدم الاعتبار للواقع والزمان ـ كلام للشاطبي وابن القيم في النظر إلى مآلات الأفعال ـ كلام لابن عثيمين في موزانة الأفعال وأثرها ـ الأمر الحسن لا يقتضي وجوب شيوعه بين الناس .. ١١، ١٤
سؤال: قد تقول يا شيخ إن النص دل على هذا القول، أو إن الأدلة الشرعية دلت على هذا الرأي؛ فعلى هذا يجب القول به والفتوى به، والدعوة إليه وعدم الحيدة عنه والانصراف إلى غيره بتأثير الواقع أو حال المستفتين أو مستقبل الفتوى؟ ١٤
الفرق بين الحكم الأصلي وبين الفتوى الشرعية، كلام للشيخ محمد بن إبراهيم في تأكيد الفارق ـ إفتاء الشيخ محمد بن إبراهيم بوقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد ـ بيان سبب مخالفة ابن تيمية للجمهور في المسألة، تغير فتوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة وقوع الطلقات الثلاثة بلفظ واحد وسبب هذا التغير، مراعاة العلماء في الفتوى لحال المستفتين [ترك سفيان بن عيينة لتأويل حديث ليكون أبلغ في الزجر ـ تأييد الطاهر بن عاشور لفعل سفيان ـ كلام للشيخ محمد بن إبراهيم في أحاديث الوعيد وأنه لا يتعرض لتأويلها لتكون أبلغ في الردع ـ ربط هذا

النهج بأحمد وابن تيمية وسائر السلف ـ كلام لابن عباس والزهري في بيان بعد النظر في القول بأن القائل لا توبة له] . . ١٤، ١٩

سؤال: ما وجه الخطأ السيادي في هذا الاختيار (أي إخراج المنطقة الشرقية من مسمى الجزيرة العربية؟ ١٩

عدم الالتفات إلى المشاريع العدائية والمتربصة بالمنطقة، قصة لقاء الملك فيصل بـ(كسينجر) ـ تهديد كسينجر باحتلال آبار النفط في المملكة ـ ترتيبات أمريكا للسيطرة على الجزيرة العربية بعد قرار الحظر النفطي ـ خطط ونوايا أمريكية لاحتلال مناطق آبار النفط، أثر النفط في خدمة الأيديولوجيا والسياسات[كلام للرئيس الأمريكي الأسبق كارتر حول دور نفط الأوبيك في توجيه سياسات الدول العربية وحفظ الانسجام لها ـ كلام لرالف (أحد مستشاري البيت الأبيض) حول ارتباط النفط بخدمة أيديولوجيا مصادمة للبيت الأبيض ـ كلام لموراويك (الباحث في مؤسسة راند) حول اجتماع الدعم الروحي والمتمثل بالحرمين والدعم المادي المتمثل بالنفط في الدولة السعودية ـ دراسة عن دور سعودي في حفظ الأمن في الجزيرة العربية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر ـ كلام في صحيفة بريطانية عن خطورة وصول عوائد النفط إلى زعيم الوهابيين ابن سعود على اتساع النفوذ الوهابي ـ مذكرة لسبعة وأربعين نائباً يحثون فيها أمريكا على إلزام السعودية بوقف التمويل والدعم الأيديولوجي للحركات الإرهابية المناهضة لأمريكا في العالم ـ كلام لسعد البزاز (الدبلوماسي العراقي السابق والصحفي) عن تقرير وصل إلى بعض الدول العربية عن خطة أمريكية ترى وجوب الفصل بين النفط وبين أي أيديولوجية معادية لها حتى وإن كانت علمانية ديموقراطية وعليه سوف يتم تقسيم بعض الدول العربية] . . . . ١٩ ـ ٢٥

سؤال: هل هم (أي الغرب) يهتمون بالعقيدة والأيديولوجيا والأفكار؟ ٢٥
الإعلان الأمريكي عن الحرب الصليبية ـ احتلال الفلبين بدافع ديني ـ دعم البنتاجون لقس أمريكي يروج لفكرة دعم إسرائيل في الخمسينات ـ إعلان وزير الدفاع الأمريكي عن حرب الأفكار، دور النص الشرعي في تغيير الأفكار ـ احتماء الدولة السعودية بحديث (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) لفرض السيادة .... ٢٥ ـ ٢٧
سؤال: قد تقول يا شيخ هذا تخيل ومبالغة في مفعول النص الشرعي في حماية المنطقة من عبادات الآخرين وعقائدهم وأفكارهم ونفوذهم واحتلالهم؟ ٢٧
كلام للدكتور عبد الله القباع عن الأمن القومي عن طريق تبني أيديولوجيا سياسية محددة ـ شواهد على دور العقيدة في حماية السيادة [كلام لأحد ضباط الاستخبارات الأمريكية عن أثر الحركة الوهابية كعقيدة على النجديين وأنها تكتسح ما أمامها لقوة تمكن الفكرة من النجديين ـ الدعوة الوهابية في مواجهة النشاط التبشيري في مسقط(١٨٩٧م) ـ إغلاق مكتبة الكتاب المقدس (التبشيرية) في الناصرية بسبب الدعوة الوهابية (١٩٠٢م) ـ معارضة بحرينية للعمل التبشري (١٩١٣م) ودور الشيخ النجدي محمد ابن مانع وقاسم بن مهزع فيها ـ معارضة كويتية للعمل التبشيري على يد الجمعية الخيرية (١٩١٣م)] ـ أسباب فشل الحملة التبشيرية في الخليج العربي ـ مبادرات متفرقة للمساهمة في مقاومة التبشير، دور العامل بالنص الشرعي في مقارعة خصومه [قصة تحدي مندوب بريطانيا القسيس في البحرين لعلماء البحرين والأحساء ورد الشاب السلفي النجدي شبهه]، الحذر الغربي من إظهار ملامح

عقائدهم على الأرض السعودية ـ منع سعودي لأي نشاط ديني مناهض للإسلام ـ قصص حول الحذر من إيذاء مشاعر المسلمين في السعودية [أداء الرئيس جورج بوش صلاة الشكر مع الجنود على ظهر بارجة في البحر ـ رفض سعودي لدخول فرقة فرنسية موسيقية راقصة للترفيه عن الجنود الفرنسيين إلى أراضيها ـ حظر الخمور ـ تغطية النساء الأمريكيات أيديهن ـ حظر إظهار الصلبان ـ هجوم صحيفة على السعودية لخلوها من الكنائس ـ شراء الأمريكيات العباءات ـ اعتراض أحد القادة العسكريين الأمريكيين على حظر مجلات الجنس على الجنود في السعودية وتأكيد القائد العسكري شوارتزكوف على أهمية احترام القانون السعودي ما دام الجنود على أراض سعودية]، أثر النص الشرعي على العلماء في التعبئة وحشد الجهود والتأكيد على أهمية جزيرة العرب وخصوصيتها في [كلام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ الشيخ ابن باز ـ ابن عثيمين ـ فتوى للجنة الدائمة للبحوث والإفتاء في التحذير من النشاط التبشيري في جزيرة العرب] ـ أثر النص الشرعي على الحكام في التأكيد على أهمية جزيرة العرب وخصوصيتها [خطاب الملك عبد العزيز إلى أمير الجوف يحذر منها من وجود دولة يهودية على العرب ـ كلام للملك عبد العزيز عن الخطر الممتد من خلال الامتيازات الأجنبية ـ كلام في الهامش للمعتمد البريطاني عن استحالة تجنيد الملك عبد العزيز لصالح بريطانيا بسبب عقيدته وتاريخ دولته وهذا ما سيجعل بريطانيا تحاول عرقلة الملك عبد العزيز ـ دعاء للملك سعود أن يخلص الله جزيرة العرب من المحتلين ـ خطاب للملك سعود معادي للغزاة الذين يحتلون جنوب الجزيرة العربية، تصريح للأمير سلطان بن عبد العزيز عن حظر بناء الكنائس في السعودية لخصوصية

السعودية الدينية ـ كلام للأمير سلمان يبرز من خلاله خصوصية السعودية كأرض انطلق منها الإسلام مع تعرضه لمصطلح الجزيرة العربية]، كلام للشيخ محمد رشيد رضا عن أثر الشعارات الزائفة في تغيير الولاءات الدينية وأثره في تغيير الولاءات السياسية والسيادية ـ رجل بريطاني وراء ترديد أحمد لطفي السيد لشعار «مصر للمصريين» . . . . ٢٧ ـ ٥٣
سؤال: هل لهذه الدرجة تفعل الفتوى الفردية، أو إلى هذا الحد يفعل الاختيار الفقهي الشخصي في تغيير للمفاهيم والعقائد، والتي بدورها تقوم بالتغيير على سطح الأرض؛ وهل إلى هذه الدرجة يستفيد منها الآخرون من المستعمرين القادمين من الخارج وأعوانهم من الداخل؟ ٥٣
اهتمام المحتل بالفتوى في ترسيخ نفوذه[دور أحمد رضا خان مؤسس البريلوية (الصوفية) في دعم نفوذ المستعمر البريطاني في الهند وإضفاء الشرعية عليه ـ تكفير أحمد خان للوهابيين ـ تشجيع رضا خان للشريف حسين على الخروج على الأتراك ـ تكفير رضا خان للدولة العثمانية بحجة الإفساد في الأرض لدخولهم الحرب ضد الإنجليز ـ كسر رضا خان للمقاطعة الشعبية للبضائع البريطانية في الهند، كلام لمفتي مصر سيد طنطاوي حول تأييد التطبيع مع إسرائيل ـ منح سيد طنطاوي درجة الدكتوراة الفخرية من مركز الدراسات التنصرية ـ هجوم الصحافة الإسرائيلية على سيد طنطاوي بعد تغير موقفه، استغلال الكاتب شاكر النابلسي لفتاوى بعض المشايخ في إثبات أن المقاومة العراقية للأمريكان ما هي إلا «إرهاباً» . . . . ٥٣ ـ ٥٨
سؤال: قد تقول يا شيخ إن هذه العقلية الاستعمارية انتهت من العالم بفضل نظام الأمم المتحدة، وهذا النوع من التفكير السلطوي نضب من الفكر الغربي مع المواثيق الدولية؛ وهذه

النزعة الحربية العسكرية للسيطرة على ثروات الشعوب واستعباد الناس تلاشت مع التوازنات والتحالفات الدولية والمصالح الدولية العليا والسلام العالمي وحقوق المصير والإنسان؟! .. ٥٨

إثبات بقاء مبدأ الحرب الوقائية في السياسة الخارجية، استمرار عقلية الاستعمار ـ خطة بريطانية لدفع الاحتلال العراقي عن الكويت وليس لمنعه قبل وقوعه (١٩٦٠م) ـ كلام للشيخ سفر الحوالي حول اعتماد أمريكا على خطط بريطانية قديمة انتقلت إليها في عام (١٩٦٨م) ـ صحيفة الحياة تتحدث في عام ١٩٩٠م عند غزو الكويت عن خطة سابقة ومشابهة كانت ستنفّذ في عام (١٩٦٠م) ـ كلام لوزير الدفاع الفرنسي الأسبق عن حث أمريكي للعراق على غزو الكويت واعتراف السفيرة الأمريكية في العراق بأنها ساهمت في هذا التحريض، صور من محاولات زعزعة استقرار السعودية [دعم بريطاني لابن رشيد ليكون حاجزاً بين نجد وبين العراق والحجاز (١٩٢١م) ـ تحريض إيطالي للإدريسي على احتلال جيزان عام (١٩٣٢م) ـ احتلال بريطانيا لواحة البريمي السعودية بدوى استنجاد شيخ مدينة أبوظبي وسلطان مسقط بها (١٩٥٥م)، السبب الاستعماري الحقيقي وراء الحرب السعودية ـ المصرية في اليمن (١٩٦٢م) بشهادة كلاً من عبد الوهاب عزام و معروف الدواليبي ـ أسباب التدخل السعودي في حرب اليمن ـ كلام لدبلوماسي عراقي يتحدث عن حملة إعلامية عراقية على السعودية وقد سميت السعودية في ذلك الوقت ببلاد «نجد والحجاز» ويتحدث أن سبب التسمية هي معرفة القيادة العراقية من مصادر غربية بخطط أمريكية للفصل ما بين مناطق النفط وبين مناطق الزعامة الدينية للعالم الإسلامي] .... ٥٨ ـ ٧٠

سؤال: قد تقول يا شيخ أنا استبعد أن يكون هناك عمل عسكري أو استخدام القوة في نزع السيادة على هذه المنطقة؛ فالأمر ليس بهذه البساطة، وليس بهذه السهولة؛ وأخشى أن يكون هذا من المبالغة في الخيال، ومن الإفراط في التفسير التآمري؟ ٧٠

نفي الخيال والمبالغة عما يسمى بنظرية المؤامرة من خلال [كلام لسمير عطا الله عن تصريح للسفير الأمريكي عن قرب زوال نظام صدام قبل إسقاطه بسنين، كلام لنجم عبد الكريم عن فيلم أمريكي كوميدي أنتج عام (١٩٨٢م) عن احتلال العراق للكويت والتدخل الأمريكي لفض النزاع] .... ٧٠ ـ ٧٣

سؤال: قد تسأل يا شيخ عن هذه الأساليب والطرق التي تحل محل الاحتلال العسكري في نزع وخلخلة السيادة على هذه المنطقة ٧٣

الاحتجاج بشعارات (حق تقرير المصير) و(حقوق الإنسان) لجعلها ذريعة للتدخل، موقف الملك عبد العزيز من الامتيازات الأجنبية ـ تذرع الملك عبد العزيز بحديث (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) لصد الوصاية الأجنبية عن الحجاز، قصة مؤتمر الحجاز ومحاولات زعزعة السيادة السعودية ـ مطالبة محمد علي وأخيه بإعادة بناء القباب على الأضرحة ـ كلام للشيخ ابن بليهد في وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب ويعني إخراجهم من (فلسطين ـ سوريا ـ العراق ـ سواحل الجزيرة العربية) وأثر النص الشرعي في إفشال محاولات الوفد الهندي نزع سيطرة السعودية عن الحجاز، دعاء للملك سعود في إحدى خطبه أن يخلص جزيرة العرب من المحتلين ـ خطاب للملك سعود يعلن فيه رفض السعودية الدخول في أي حلف أجنبي ويتكلم عن المظالم التي تحلق المسلمين في جنوب الجزيرة، دور العلماء وأهميته في حشد

الرأي العام ضد الأطماع الأجنبية، قصة بناء أول كنيسة في الكويت، منع بناء أول كازينو للقمار في الشارقة بسبب النفوذ السعودي .... ٧٣ ـ ٧٩

سؤال: هل بالفعل الامتيازات الأجنبية كبناء الكنائس وبناء دور الملاهي والخمارات والقمار والتحول عن الشريعة في الدول الإسلامية قام على آراء فقهية وفتاوى ومباركة المشيخة الشرعية؟ ٧٩

كلام لعبد القادر عودة في أثر رأي أبي حنيفة في تأييد عدم سريان الشريعة على المستأمن في منح الكفار الامتيازات الأجنبية ـ رفض الشيخ محمد أبي زهرة (حنفي المذهب) لرأي أبي حنيفة لفساد تبعات هذا الرأي ـ ضعف الدولة العثمانية بسبب تبنيها لرأي أبي حنيفة .... ٧٩ ـ ٨٠

سؤال: هل هذه الدول الغربية بالفعل لها بعد ديني في مطالبتها بالامتيازات الأجنبية، وتقصد من وراء ذلك نشر التنصير ومحاربة الدين؟ ٨٠

فشل محاولات مفوض بريطانيا لإقناع الملك عبد العزيز بعقد معاهدات لتثبيت الامتيازات البريطانية في الحجاز، فشل محاولات بريطانية الدفاع عن أحد رعاياها باستخدام الامتيازات الأجنبية في السعودية، دور الملك عبد العزيز في إنهاء الامتيازات الأجنبية، أثر الامتيازات الأجنبية في محو سيادة الدول، قصة تسلل رجلين للتنصير في الحجاز (١٩٢٧م) ـ القبض على الرجلين وإرسال رسالة إلى القنصلية الأمريكية من وزارة الخارجية السعودية يرفض السعوديون من خلالها أي نشاط تبشيري على أرضهم، طموحات تبشيرية من خلال إنشاء المدارس في جدة، نص رسالة من نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط إلى فيصل (سلطان مسقط) يتضح من خلالها حماية الحكومة الأمريكية للمبشرين وبلهجة استعلائية (١٩٠٩م) ٨٠ ـ ٨٧

سؤال: هل يكون للمدرسة أثر فعلي في تغيير أفكار المجتمع تجاه منطقتهم وتحويل عقيدتهم غزاء وطنهم؟ ٨٧
قصة كيفية تلفيق اليهود لمزاعم وجود مقدسات دينية تخصهم في المسجد الأقصى غفلة سليمان القانوني (الحاكم العثماني آنذاك) عن تبعات هذا التسامح مع اليهود وضعف التعبئة ضدهم، مؤتمر إسلامي في عام (١٩٢٩م) لتكذيب مزاعم ملكية اليهود لحائط البراق، المحاولات اليهودية لتغيير المناهج الدراسية الفلسطينية والتي تحض على مواجهة المحتل وقتاله ـ سيطرة إسرائيلية على مدارس الأونروا لتغيير المناهج الدراسية الفلسطينية لتضعيف فكرة المقاومة للمحتل وترسيخ مبدأ التعايش مع اليهود وطمس الهوية العربية والإسلامية في المناهج الدراسية الفلسطينية ومحاولة طلب الدعم من اليونسكو ـ كلام في الهامش لشارون مع صيحفة لوموند يعبّر فيه عن تضايقه لعدم وضع اسم إسرائيل في المناهج الدراسية للدول العربية التي عقدت معاهدات مع إسرائيل، التعبئة اليهودية لأبنائهم في المناهج الدراسية ضد المسلمين لتكريس سيادتهم على فلسطين ٨٨ ـ ٩٧
سؤال: قد تقول يا شيخ همنا في هذا المقام منطقتنا (الجزيرة العربية)؛ وهل بالفعل المدرسة لها دور في محاولة تحويل ما يسمى بالأيديولوجيا السياسية أو تغيير عقيدة التوحيد الداعمة والمرسخة للوحدة الجغرافية والسياسية؟ ٩٧
تكريس وتأكيد مبدأ الأممية من خلال الأدلة الشرعية وهي لب وجوهر السياسة الخارجية للدولة السعودية من خلال ارتباط الأمن في الجزيرة العربية بأمن الدول العربية والإسلامية كعمق إستراتيجي [رسالة الملك عبد العزيز للرئيس ترومان تبين المخاوف السعودية من أطماع توسعية لليهود ـ كلام للملك عبد العزيز مع ديكسون حول الأطماع التوسعية اليهودية ـ كلام

للملك عبد العزيز مع عبد الرحمن باشا حول دعمه للدول العربية وإن خانوه مخافة من الأطماع التوسعية للألمان، كلام للملك فيصل عن خطورة ضياع فلسطين على مستقبل كل بلد عربي وخاصة السعودية ـ كلام للملك فيصل مع كسينجر حول أحقية المسلمين بالأقصى وإن تنازل عنه الفلسطينيين، كلام للملك فهد عن المسلمين كعمق إستراتيجي للسعودية]، الدور السعودي في مواجهة إسرائيل على كافة الأصعدة، تصريح لوزير الخارجية الكويتي عن السعودية كعمق إستراتيجي لدول مجلس التعاون الخليجي، إغراق مصر في مشاكلها الخاصة كي يكتمل احتلالها، الوعي الغربي بدور النفط السعودي في تغيير العقائد والسياسات [رؤية متماثلة تجاه السعودية لكارتر (الرئيس الأمريكي الأسبق) ولرالف (أحد مستشاري البيت الأبيض) ولموراويك (الباحث في مؤسسة راند)] ـ وعي غربي من خلال التجربة بأهمية السعودية في قلوب المسلمين [نظرة الشعوب الإسلامية إلى السعودية وخصوصيتها المكانية كمهبط للوحي ومنبع للإسلام ـ حصار المسلمين للمؤسسات والسفارات الأمريكية لحظة شيوع خبر
مفاده أن إغلاق الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ كان بدور أمريكي ورفع الحصار بسبب النفي السعودي فقط]، دعاوى ومزاعم ومحاولات لزعزعة السيادة [دراسة لكمال الصليبي حول التوراة وأن أصلها هو من جزيرة العرب، إنشاء المدارس الأجنبية ودورها السياسي عبر التاريخ ـ مدرسة تنصيرية في تركيا هي التي قادت حركة التمرد على الدولة العثمانية ـ مدرسة تنصيرية بيروتية هي التي طرحت فكرة القومية العربية] .... ٩٧ ـ ١٠٨
سؤال: قد تقول يا شيخ إن سبب ترجيحي للقول الآخر القاضي بإخراج (المنطقة الشرقية) من مسمى الجزيرة العربية، ودعمه

بالأدلة لمصلحة الزمن والمكان والتي مفادها نقض أحد أصول من يقوم بقتل أو انتهاك حرمة أصحاب الملل الأخرى بحجة إخراجهم من جزيرة العرب فهي محاولة لقطع الطريق على هؤلاء الضالين وتجنيب المكان من إفسادهم وتخريبهم؟ ١٠٨

الاعتبار هو بالمصلحة الزمانية أو المكانية، النوايا الغربية في خلخلة سيادة الدولة على المنطقة الشرقية، كلام للملك عبد العزيز مع عبد الوهاب عزام (سفير مصر بالباكستان) حول نقض بعض الدول الغربية للعهود، استغلال غربي للمسلمين ضد بعضهم حتى قال أحدهم «الجهاد في الرياض أصرح من الجهاد في بغداد»، كلام لأحد الصحفيين عن رفضه لمصطلحي جزيرة العرب وأرض الحرمين وتمسكه بمفهوم (الوطن) وهو ردة فعل مطلوبة من الأعداء كأحد نتائج التفجيرات في السعودية، حوار بعنوان (التفجيرات في السعودية واختراق الجماعات المسلحة) - أعداء السعودية هما الحركة الصهيونية والحركة المسيحية الأصولية - تقرير أمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر حول النفط السعودي في ترسيخ العقيدة السلفية بين المسلمين - سياسة أمريكية في دعم نظام تعليمي إسلامي لا يعاديهم - تقرير أمريكي يرى عدم خطورة المناهج التعليمية في المدارس الإندونيسية الدينية على كثرتها - دور الحكومة السعودية في نشر العقيدة السلفية ومواقف أمريكية معادية لها - دعم الحكومة السعودية للفلسطينيين - وعي غربي بعدوه الحقيقي - مصدر أمريكي يصرح باختراق وكالة الاستخبارات الأمريكية للمنظمات الإرهابية - علاقة السفير الإسرائيلي بفئات من الشعب المصري وإقناعه لشاب ملتحي في حق إسرائيل في الوجود - علاقات إسرائيلية ببعض الجماعات المسلحة في مصر - كلام لأحد قياديي جماعة الجهاد المصرية حول دور صهيوني

في إشعال نار الفتنة في مصر ـ نجاح الموساد في تجنيد ضباط هولنديين للتجسس على سوريا والفلسطينيين ـ وثائق تظهر علاقات صهيونية ببعض الجماعات الإسلامية في مصر ...... ١٠٨، ١٣٠

سؤال: قد تقول يا شيخ إن هذه النماذج في مصر، فمن أين لك القياس عليها، ومن أين الدعوى بأن المستعمر يريد تكرار التجربة في السعودية؟ ١٣١

كلام لمحمد أسد حول دعم بريطاني بالمال والسلاح لحركة الإخوان بزعامة فيصل الدويش ـ سبب هذا الدعم هو تحجيم دولة الملك عبد العزيز وشق سكة حديدية وإقامة قاعدة بريطانية في رابغ .... ١٣١، ١٣٤

سؤال: كيف صار اختياري الفقهي مساهماً في خلخلة سيادة الدولة على (المنطقة الشرقية)، وكيف صار داعماً لزعزعة ملكية المنطقة الثرية بالبترول؟ ١٣٤

سيادة السعودية قامت على الخصوصية الدينية للجزيرة العربية ـ ترسيخ هذه السيادة في المناهج الدينية التعليمية لإسقاط خطط التبشير ومشاريع الفجور، مناقضة جهود علماء من خارج السعودية يصرون بفتاواهم على الحفاظ على هذه الخصوصية ومحاربتهم لدعاوى حرية الأديان ـ بيان للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة (٢٠٠٠م) حول خصوصية السعودية واستحالة خرق الخصوصية ببناء الكنائس، دور العلماء في حفظ هذه الخصوصية [خطاب أبي الحسن الندوي لأمير الكويت حول حرمة بناء الكنائس في جزيرة العرب ـ خطاب آخر لأبي الحسن إلى الأمير فهد بن عبد العزيز حول نفس الأمر ـ كلام للشيخ مقبل الوادعي يرد فيها على مطالبات محمد المسعري (المنشق السعودي) ببناء كنائس للنصارى]، نصيحة أخيرة للشيخ .... ١٣٤، ١٤٠